جوانب من السياسة الفرنسية

وردود الفعل الوطنية

في قطاع الشرق الجزائري

(بداية الاحتلال)

حميدة عميراوي

نشر

رقم الايداع القانوني
39484
1984
و. قسنطينة

بسم الله الرحمن الرحیم

الاهـــــداء

الى كل مجاهد فى سبيل عـزة النفس وكرامة
الوطن وحرمة الدين الاسلامى

الى

افـراد اسـرتى ، المحترمـة

السيد عميراوى حميده

أستاذ مساعد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

ان البحث عن الحقيقة مطلب شريف ، وممتع . ويكون أكثر شرفا ومتعة لما يكون الهدف منه ابراز الحقائق ذات الصلة القوية بالوطنية ، شرط أن يلتزم هذا الباحث بضرورات البحث العلمي ... أى ألا يضفى على بحثه الاحساس القومي المفرط ... وهو ما كان موضع حديث مختصر فى بداية هذا الكتاب .

وان البحث ـ خاصة الآن ـ فى تاريخ الجزائر الحديث : ليس شرفا ومتعة فحسب ، بل هو واجب وطني ... ومن هنا تجدني مشدودا الى تقديم هذه المحاولة ، ذات المحتويات التالية : مختصر عن النظام الادارى والاجتماعى فى قطاع الشرق الجزائرى أواخر العهد العثماني، وذلك بقصد التعرف على مواطن القوة ومواطن الضعف فى المقاومة الوطنية . وأيضا موجز عن الجانب الثقافى خلال فترة أواخر العهد

العثماني ، حيث اعتمد هذا الجانب على ذاتيته وعلى عاتق الشعب الجزائرى انطلاقا من الزوايا ؛ دون ان يعتمد عـلى رجال السلطة العثمانية الذين اهتموا بجوانب الحياة الأخرى؛ الأمر الذى تولد عنه حرمان البلاد من خبرة الجزائريين . ثم افردت حديثا على الاحتلال الفرنسي لقطاع الشرق ، هـذا الاحتلال الذى كان ذا لونين ؛ احتلال عسكـرى متمثل فى حملات عسكرية واسعة النطاق ، واحتلال مدنى اتسم فى الهجـرات الأوروبيـة وتكـوين مستعمرات عـلى حسـاب الجزائريين .

ثم خصصت جانبا للحديث عن المقاومة الوطنية ، هـذه المقاومة التى ظهرت بقوتين : قوة العمل السياسى العسكرى ، وقوة العمـل السياسى الفكـرى . حيث تعـددت الثورات والهجومات من ذلك الهجوم على برج زغاية 1864 م .

قسنطينة ــ أكتوبر 1984 م .

رأى حول الغربلة لتاريخ الجزائر الحديث

أضع هذه المحاولة المتواضعة حول تاريخ الجزائر الحديث بين أيدى القراء ، وأملي أن أحقق ثلاثة أشياء :

الأول : حتى يتعرف القراء على جانب ذى أهمية من تاريخ الجزائر الحديث ؛ هذا الجانب الذى سكتت عنه الدراسات الوطنية. فى حين أكتفت بعض الدراسات الفرنسية بالاشارة اليه بشيء من الغموض حينا والتزييف أحيانا .

وأقصد بهذا الجانب الثورة التى قامت شمال قسنطينة ، وبالضبط في زغاية سنة 1864 م .

الثـاني : أن أضع مجموعة من الوثائق النادرة ، تعد مادة مصدرية عن تاريخ المنطقة ، وخاصة زغاية ، تمكنت من

الاطلاع عليها خلال سنوات مضت ، أغلبهـا مـن أرشيف ، « ما وراء البحر » بأكس أون بروفنس .

الثالث : مساهمة مني كمواطن أنتسب الى هذا البلـد العظيم ، في الذكرى الثلاثين لانـدلاع الثـورة التحريرية الكبرى وفي غربلة تاريخنا المشرق ، وذلك باثـارة بعض القضايا الجديدة من خلال وثائق نادرة . لان ايماني قـوى وادراكي واضح أن أغلب ما كتب عن تاريخ الجزائر الحديث كان من طرف الفرنسيين، ولهذا تبقى الآراء التي قدمت حول القضية الجزائرية تعبر عن وجهة نظر واحدة ، ولابـد أن تكون كذلك بحكم عاملين :

الأول : تحيز الكتابة الفرنسية، التي كانت اما استعمارية ملتزمة أو مناهضة للاستعمار ، والاثنتـان تمثـلان ـ في رأيي ـ وجهين لعملة واحدة ، هي المدرسة الكولونيالية . ومن ثم تكون عوامل كثيرة تآزرت على تشويه تاريخنا واخفـاء بعض سماته المشرقة ، لان الفرنسيين تسرعوا في اصدار أحكام على الجزائريين دون تحقيق ولا تدقيق بجانب ما كانوا عليه من غرور ، فغلبت على أبحاثهم الاحاسيس بمشاعـر التفوق ... ومن ثم توصلوا الى نتائج خاطئة عن الجزائريين، من ذلك أنهم قالوا عن الاستعمار انه وسيلة تمدين وحضارة لشعب الجزائر الذى كان يعيش (حسب زعمهم) على النهب(1). وان التطور الحضارى والفكرى الذى عرفه المجتمع الجزائرى خاصة وبلاد حوض البحر المتوسط بوجه عام انما جاء وليدا

للحضارة الاغريقية ــ الرومانية ، من جهة . ونتيجة عن النهضة الادبية ــ الفنية الايطالية ، من جهة ثانية . وأما ما بينهما فهو فراغ ، وقد أطلق على مرحلة الفراغ هذه بمرحلة القرون الوسطى المظلمة (2) . ونتيجة للاستعمار الفرنسى ، من جهة ثالثة . ولا تحتاج هذه الفكرة الى نقاش نظرا لتطرفها وتحيزها .

والعامل الثاني : يتمثل في غياب الكتابات العربية عامة والتى تمثل وجهة النظر الجزائرية بوجه خاص. وحان الوقت فى أن نغربل تاريخنا . لان الاهمال لهـذا الجانب عقب الاستقلال أدى الى فراغ روحي انعكست آثاره على جزء من أبناء هذه الامة ، ممن تعرضوا للاستيلاب الثقافى خلال ليل الاستعمار الطويل .

لهذا فالضرورة تدعو الى غربلة هذا التاريخ وبأقلام وطنية ، وذلك بحكم أن الجزائرى اقرب الى وطنه ، وعلى دراية بلغة بلاده وعاداته وتقاليده ، ولانه ليس من المعقول أن يطلب من جزائرى أن يكتب عن تاريخ الصين أو فرنسا لان للمؤرخ جنسية ، وأن التاريخ طاقة الماضى نستمد منه قوة الدفع للسير نحو التقدم ... لكن هذه الطاقة فى حاجة الى تجديد .

ولا يعنى هذا أن يكون الحماس وسيلتنا وهدفنا ... انما يجب أن يكون الحماس موجها بالرؤية الصحيحة ، حتى نحفظ

قدرا من التوازن بين الذاتية والموضوعية لابـرار معالـم شخصيتنا الوطنية .

وفى هذا المسلك لسنا الشعب الوحيد الـذى زاوج بـين الذاتية والموضوعية ، اذ أن ألمانيا مثلا لجأت خلال القرنين 19 و 20 الى طريق الانتقاء والاختيار فلم تبـرز الا الأمجاد أثناء غربنة وكتابة تاريخها .

وكذا الشأن بالنسبة الى تاريخ الولايات المتحدة الامريكية التى ذهبت الى حد الاعتداد الذاتى ونسبت اليها حضـارة الازتك والانكا ، بل وأنشأت ما يسمى بالفلسفة الارتقائية الأمريكية . وقد ألفت كتب كثيرة فى هذا الشأن مثل كتاب تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية (1834) بانانكروفت .

ويصدق نفس الاعتبار على ما تعمل به اسرائيل اليـوم والتى وظفت التاريخ لخدمة الحركة الصهيونية ، اذ تشترط الآن فى الهوية لليهودى أن يكون على دراية باللغة العبريـة والتاريخ اليهودى .

ونفس الشىء بالنسبة لفرنسا ، اذ بعد أن ظهرت الثورة بها (1879 ـ 1804 م) وما أعقبها مـن أحـداث كتوسعات نابليون بونابرت وانتفاضتى باريس 1830 ، 1848 م ، بعد ذلك تأكدت حقيقة لدى الفرنسيين وهى ضرورة نشر العاطفة الوطنية بين عامة الشعب الفرنسى قصد اقرار وحدة فرنسية مقدسة مقرونة بالتغيرات الشاملة التى نتجت عن الثـورة ، وقد قام بهذه المهمة المؤرخون والسياسيون . وبناء على هذا

يمكن القول أن التاريخ كان وسيكون مادة توجيهية أكثر منها شيء آخر ، خاصة في مراحل التعليم ، ولا يعني هذا أن يدرس التاريخ باطاره الكلاسيكي ، بل يجب أن يدرس بطرق أكثر تطورا أى أن يكون في ترابط عبر مده الثلاثي : الماضي ، والحاضر ، والمستقبل . فالفرق كبير بين التاريخ الذى صنعه « حاضر الماضى » الذى شاركت في أحداثه فيئات كثيرة بمختلف مستوياتها حسب واقعها المعاش ، في اطار امكاناتها المحدودة وظروفها الزمنية الغامضة . وبين التاريخ الذى يصنع فى « الحاضر » من طرف فئة معينة هي الفئة المفكرة التى تحاول استرجاع ذلك التاريخ الذى صنع فى « حاضر الماضى » تحاول استرجاعه وفقا لتصورات معينة ، تسمو فى كثير من الاحيان الى مستوى « النظرية » وهنا تتداخل دراسة التاريخ مع التيارات الفكرية بل مع الايديولوجيات ...

وقد تواجهنا مشكلة ونحن نغربل تاريخنا ، وهي لمن نكتب تاريخنا ؟ يجب أن :

نكتبه لابناء هذه الامة (منه واليه) ونكتبه أيضا للعالم العربي الاسلامي الذى يجهل الشيء الكثير عن تاريخنا ، لأن تاريخ الأمة العربية الاسلامية مد متواصل ومتكامل .

ونكتبه للعالم الغربي عامة والفرنسي والأمريكي بوجه خاص ؛ لأن فهم التاريخ الجزائرى عند هذه الشعوب يكاد يكون واحدا ، ومحتوى هذا الفهم ان ما عليه الجزائر من

حضارة وتطور ، انما كان من صنع الفرنسيين وحدهـــم ، ويهملون ما اضافه العثمانيون والمسلمون من قبلهم من معالم حضارية راقية .

هذا ويجب أن يكون الهدف من وراء اعادة النظر وغربلة تاريخنا ، ليس احياء النعرات والحزازات ، انما يجب ان يكون بقصد أخذ العبرة .

وخلاصة القول يجب أن يكون الاهتمام أكثر خلال هذه الفترة التى نعيشها حول جمع المادة الخبرية كمرحلـة أولى وأساسية ، بعدها نشرع فى كتابة التاريخ وغربلته عبر مده فى الماضى ، والحاضر والمستقبل .

مختصر عن النظام الادارى والاجتماعى
فى قطاع الشرق الجزائرى أواخر العهد العثمانى

لا أعتقد انى على خطأ ان قلت : انه لا يمكن فهم مواطن القوة وبواطن الضعف فى المقاومة الوطنية ؛ أى الفعل الفرنسى ورد الفعل الجزائرى الا بمعرفة الوضع الاجتماعى الجزائرى ؛ خاصة أواخر العهد العثمانى ، وذلك بدراسة الانماط السابقة بمنهج المقارنة واستحضار الاحداث والربط ومن ثم لا يسهل فهم المقاومة الوطنية طيلة أكثر من قرن ... بل والفهم لتطور هذا المجتمع .

ودراسة هذا الوضع ليست من السهولة بمكان ، لسبب جوهرى متمثل فى ان اهتمام الدارسين كان كبيرا بالهياكل العليا دون الهياكل السفلى .

ولأن المعروف عن قطاع الشرق الجزائرى (البايلك) عهد النظام العثمانى انه كان ينقسم من الناحية الادارية الى أربعة أقسام هى :

أولا : شمال قسنطينة يمتد من عنابة الى بجاية ، ويعرف بالساحل ويتكون من تشكيلات اجتماعيـــة أساسها الأسر الموسعة والعشائر والقبائل وسيأتى ذكرها .

الثـانى : جنوب قسنطينة ؛ تشكل منطقة بسكرة قاعدته ذات القوة والمنعة .

الثالث : شرق قسنطينة يمتد من مدينـة قسنطينـة الى الحدود التونسية .

الرابع : غرب قسنطينة يتسع الى البيبان .

وتدار شؤون هذه الاقسام الاربعـــة بواسطة السلطـة المركزية المشخصة فى سلطة الحاج أحمد باى ، بمساعـدة هيكلين اداريين : الاول فى المدينة يتكون من رجال المخزن وهم مجموعة من الموظفين ، والديوان المكون من القاضيين والمفتيين والباشاحامبا ، ومهمة هـذا الديوان استشارية . وقائد الدار وآغا الجيش ، وقائد العواسى ... الخ . والهيكل الثانى فى الريف ويتكون من قادة وشيوخ أهمهم شيخ العرب.

وقد استبقت السلطة الفرنسية بعض هذه المناصب حيث اسندت مهام الى قادة وشيوخ سواء فى المدينة أو فى الريف .

وفيما يتعلق بالجانب الديموغرافى بقطاع الشرق الجزائرى عامة وبشمال قسنطينة بوجـه خـاص . فالموضوعات التى تناولت هذا الجانب بالدراسة قليلة، علاوة على انها متضاربة.

وعلى الرغم من ذلك تبقى هذه الدراسات سواء المقدمة من طرف جزائريين أو غير جزائريين ، المادة المصدرية .

ومن الجزائريين الذين تركوا لنا مادة مصدرية ، حمدان خوجة ، وأحمد بوضربة ، وحمدان بن أمين السكة .

فالاول (3) ترك مادة ذات أهمية عالية تتحدث عن المجتمع الجزائرى خاصة خلال أواخر العهد العثمانى وأوائل الاحتلال الفرنسى لهـذا الوطن . وتبدو المبالغـة فى بعض المواطن من كتابات حمدان خوجة كتلك التى قالها عن سكان الجزائر أن عددهم عشرة ملايين نسمة (10) (4) ، وفى موطن آخـر قال ان عدد سكان الولايات العثمانية الثـلاث : الجزائر . تونس وطرابلس كان حوالى عشرين مليون نسمة (20) (5).

وبناء على ما قدمه حمدان خوجة من مثل هذه الاحصاءات حول عدد السكان لبلدان الدولة العثمانية بشمال افريقيا ؛ توصل الاستاذ التميمى عبد الجليل الى أن عدد سكان قطـاع الشرق الجزائرى ست ملايين وثمانمائة ألف نسمة (6،8 مليون) وهو ما أكد الاستاذ التميمى من مبالغـــة فيما ذهــب (6) اليه حمدان خوجة .

فى حين ذهب غيره الى ان عدد سكان الجزائر آنذاك أقل بكثير من الرقم الذى قدمه حمدان خوجة ، ونذكر من بينهم ياكونو (Yacono) الذى قال ان عدد الجزائريين آنذاك لا يتجاوز ثلاثة ملايين نسمة (7) .

وهناك من أشار الى السكان بقطاع الشرق بشكل آخر ونعرض ما قاله بعضهم ونبدأ بحمدان بن أمين السكة الذى حدد العدد فى مدينة قسنطينة ما بين 25 الى 30 ألف نسمة (8).

ويفهم من تقرير كامل باى الذى زار مدينة قسنطينة فى مارس 1836 م ، ان مدينة قسنطينة عظيمة الشأن تتربع على حوالى 7000 مسكن تحتوى على حوالى 80 ألف شخص (10).

بينما قدمت أرقام من طرف فرنسيين حددت العدد بأقل مما قدمه كامل باى ؛ من ذلك : رايمبار Raimbert الذى حدد بـ 40 ألفا . فى حين حدده باون Bowen بـ 45 ألفا (11) وروزى Rozet بـ 15 ألفا بما فيهم ألفان من اليهود (12) .

ونذهب الى الاعتقاد ان كامل باى تعمد فى الرفع من عدد سكان المدينة (80 ألف) بهدف أن يدفع رجال السلطة العثمانية الى مضاعفة الاهتمام بقطاع الشرق ومناصرة أحمد باى لمنع السلطة الفرنسية من احتلالها .

لأنه لا يعقل أن مدينة قسنطينة برقعتها العمرانية المحدودة آنذاك تسع لـ 80 ألف نسمة .

الا أن كامل باى كان دقيقا لما قال فى نفس التقرير أن قطاع الشرق كان يتكون من حوالى 250 ما بين قبيلة وعشيرة ، وذهب الى تحديد سكان المدن بخمس 1/5 هذه القبائل

والعشائر . وهو الرقم الذى أكدته الاحصاءات التى قامت بها الادارة الفرنسية آنذاك (13) .

وكان عدد السكان بقطـــاع الشرق حسب ذكـر بعض المعاصرين الفرنسيين ومنهم رنودو دى بيلسيه (R. De Pelissier) حوالى مليون ونصف المليون (14) . وقد توصـــل الاستاذ عبد الجليل التميمى فى أطروحته الى أن عدد السكان بهـذا القطاع حوالى 113000 نسمة (15) .

ومهما يكن من أمر فالهرم الاجتماعى الذى كان يتكون منه قطاع الشرق الجزائرى كان على الصورة الآتية :

مجتمع المدينة ومجتمع الريف .

مجتمع المدينة : (قسنطينة) يمكن تصنيفهم مـن حيث مستوى المعيشة كالآتى . (1) الطبقة الأرستقراطية الحاكمـة ويتشكل معظم افرادها من العثمانيين والحضرية أو البلديـة والكراغلة ورجال المخزن (الهيكل الادارى) . وعلى الرغم من قلة عددهم فانهم كانوا يملكون ويحكمون اجزاء غير قليلـة من القطاع الشرقي ، فهم ميسورو الحال بفضل الامتيازات التى كانوا يحظون بها .

ثم تأتى الطبقة (الفئة) الثانية وهى التى تشكل أغلبية سكان المدينة من العامة وذات مستوى متدنى من الحياة نزح معظمهم من خارج المدينة يضاف اليهم فئة الفلاحين الذيـن كانوا يشكلون قاعدة الهرم الاجتماعى .

والملاحظ عن النظام العثمانى بالجزائر أنه دعم الاقطاع فى البلاد فنتج عنه ان صار الفلاح مستغلا من طرف جميع أصحاب النفوذ وفى مقدمتهم الشيوخ والمرابطون والقــواد . لان السلطة العثمانية أحدثت سلطات متنوعة سواء فى المدينة أو فى الريف وذلك بوقوفها بجانب بعض المرابطـين عــلى حساب مرابطين أخرين ومنحهم حظوة خاصة قصد اكتسابهم الى صفها . ومن جهــة أخرى أسست سلطة دنياوية أولــت قيادتها لشيوخ القبائــل الذيــن خصــوا بعنايــة فائقة بأن اقتطعوهم أراضي واسعة ، وبهذه الطريقة تمكن العثمانيون من استغلال الفلاح الجزائرى ابشع استغلال .

الامر الذى نتج عنه تباين داخل الهرم الاجتماعى سواء على مستوى ولاية الجزائر عامة أو قطاع الشرق بوجه خاص ، فتولد عن هذا التباين تذبذب وبالتالى صراعات بــين فيئات السكان ، من جهة . وبين فيئات السكان والنظام الحاكم ، من جهــة ثانيــة .

مجتمع الريف : كان سكـــان الريف فى قطــاع الشرق الجزائرى أواخر العهد العثمانى يشكلــون قاعــدة الهــرم الاجتماعى من حيث الكثرة/النسبة/ومردود الانتاج ويمكن التمييز بين سكان الريف بتقسيمهم الى فئتين هما : سكــان الجبــال الاكثر استقرارا ، وسكان **السهــول** ، وهم حديثو الاستقرار وتعرف هاتان الفئتان من الناحية الادارية باسم الساحل ، وهما الاكثر ارتباطا بالارض من غيرهم . والاكثر

قوة ومنعة بفعل حصانتهم بالجبال الوعرة المسالك : مع قلة مواردهم الفلاحية خاصة، بسبب قلة المساحات من جهة. وكثافة السكان العالية ، من جهة أخرى . لهذا عرف سكان الساحل هجرات متتالية الى المدن مثلما هو الحال اليوم الى خارج البلاد. وعلى الرغم من هذه الهجرة الا أنه كثيرا ما تتم العـودة الى الموطن ، ومن هنا فهم الاكثر من غيرهم ارتباطا بالارض .

يتكون سكان الساحل من قبائل وعشائر وأسر تضم كـل منها فروعا وتقوم كل منها على رابطة العصبية أى على رابطة الدم ؛ وهى بذلـك ـ القبيلة ، العشيرة والاسرة ـ تكـون الوحدة الاجتماعية ، الادارية ، السياسية وحتى الاقتصادية بذلك الاقليم أو الوطن ؛ تدار شؤونها برئاسة شيخ يساعده مجلس من الشيوخ .

والعصبية عند هذه القبائل أو العشائر نمط سياسى تقوم على التعاون بين أفراد هذه التشكيلات الاجتماعية . كما تقوم (العصبية) من جهة أخرى على جماعة قليلة العدد (تتمثل في أفراد من أسرة أو أكثر) داخل القبيلة أو العشيرة . الامر الذى ولد ما يمكن ان نسميه بالارستقراطية الاقطاعية : حيث أتخذت هذه الارستقراطية من الحروب وسيلة للحصول على امتيازات لها . وغالبا ما تتطور هذه العصبية لتصل الى مرحلة تتمثل فى قيام نظام حكم (ملك) مثلما هو الشأن فى المشرق ، أو فى المغرب « الاسرة السعدية » أو فى تونس « الحفصية » وفى الجزائر « الزيانية » . الا أن الذى حدث

بالنسبة للمجتمع الجزائرى فى التاريخ الحديث ولا سيما فى العهد العثمانى ؛ فالعصبية لم تتطور ولم تصل الى مرحلة قيام حكم ولعل السر فى ذلك هو الوجود العثمانى الاسلامى الذى وفر على المجتمع الجزائرى الوصول الى هذه المرحلة : وذلك باحداث سلطة عثمانية مركزية التى رضى بها المجتمع الجزائرى بطريق أو بآخر ، اعترافا لها على ما قامت به ضد التحرش المسيحى الأوروبى .

حيث كان الساحل في العهد العثمانى على صلة بالسلطة المركزية ، اذ كان النفوذ العثمانى بهذا القطاع محسوسا وذلك بفضل السياسة المتبعة والمرتكزة أساسا على جيش نظامى ، حيث كانت الجيوش موزعة على مناطق كثيرة من النواحى على شكل حاميات آخذة لها مواقع استراتيجية سميت « ابراجا » (16) من جهة . وبفضل الدور الذى كان شيوخ القبائل يقومون به لصالح النظام الحاكم ، من جهة ثانية .

وبوجود هذا النظام الحاكم تعذر على هذه التشكيلات (العشائرية ـ القبائلية) ان تصل الى نمط سياسى (احزاب) لانه للوصول الى ذلك لا يكفى الاعتماد على العصبية ، بل لابد من توفر قانون سياسى وضعى ، أى على شرعية قانونية ـ سياسية ـ لان الاكتفاء بالعصبية يجر الى المجاوزات وبالتالى الى الجمود ، ومن ثم لابد من الرجوع الى قانون سياسى وضعى .

لهذا كانت أسر جزائرية كثيرة اعتمدت على العصبية فتمكنت من القيادة والسؤدد فى حدود معينة ، مثـل أسرة آل مقران ، وابن عاشور ، وبوعزيز بن قانة ، حيث تمكنت هذه الأسر من احتواء أسر أخـرى ، وكونت منهـا صفـا . وتوسعت هذه الامر الى حد أن صارت تضم قرى عديدة ، لها هيكلها الادارى مشخصا فى «مجلس القرية» الممثل من جميع القرى . وتغلب صفة التعاون بين الافراد (ذكورا واناثا) داخل الاسرة أو القرية ، فالفرد ـ كذات ـ مـن الناحيـة القانونية لا يساوى شيئا بالنسبة الى « الضمير الاجتماعى » ومن ثم كان الفرد من الناحية العمليـة وبمصطلح فلسفى « موضوع » بالنسبة « للذات » ـ أى المجتمع .

وبحكم ان سكان الساحل من الفئتين «الجبلية» و «السهلية» أى انهم ريفيون ، فان اقتصادهم كان يقوم أساسا على ثلاثة مقومات هى : الزراعة والـــرى ـ التجـارة ، والصناعـة التقليدية .

كان مردود هذه المقومات الثلاث يعود بالفائدة الكبيرة على افراد الاسرة بالدرجة الاولى ؛ لهذا كان الطابع المميز لحيازة الارض بالساحل نوعين . الاول هو **الملكية العامة** للقبيلة أو العرش ، والثانى **الملكية الخاصة** (17) .

فالنوع الأول : غالبا ما يكون هذا النوع من الملكية العامة فى المناطق السهلية ؛ لهذا كان من الطبيعى أن تكون لبعض القبائل أراضى واسعة تقدر بالآلاف من الهكتارات . وترسم

هذه الملكية بحدود عرفية ؛ هي موضع رضاء وقبول من لدن كل القبائل المجاورة لها . وكثيرا ما كانت تسمى هذه الملكية « بالوطن » وتنسب الى اسم القبيلة (18) .

والمعروف عن هذا النوع من الملكية انها مشاعة غير قابلة للبيع أو الهبة ، وعلى رأى الاستاذ العيد مسعود : « قد أتاح هذا الوضع لأرض القبيلة استخدام نمطين فى استغلالها : النمط الزراعي والنمط الرعوى فى آن واحد ، فان ذلك الاستثمار لم يكن جماعيا وانما كانت تقوم كل أسرة من القبيلة بزراعة القطع القادرة على زراعتها من تلك الارض » (19) .

اما النوع الثانى والمقصود به الملكية الخاصة فقد كان يتواجد فى الجبال ذات الكثافة السكانية العالية ، وهذا النوع من الملكية كان على خلاف النوع الاول من حيث الاساس المثل فى أن لصاحبها الحق فى التصرف بها ؛ كأن يبيعها أو يهبها . الا أنه من ناحية العرف كانت الأسرة لا تعمل بذلك وانما كانت تحتفظ بهذه الملكية أب عن جد. ومن ثم كانت هذه الملكية حيازة أسرية لا تتفتت حتى لا تتفتت الأسرة . ومن ثم كان هذا النوع من الملكية وسيلة تضامن واعتصام ، كما كانت وسيلة كسب للزراعة ، وغير قابلة للتجزئية .

وكانت طريقة الاستثمار لهذا اللون من الملكية في الساحل تتم عن طريق ان يتولى أفراد الأسرة أنفسهم بزراعتها أو عن طريق الخماسة ، ويلاحظ التعاون المستمر بين أفراد الأسرة

فالرجال والنساء والاطفال يتعاونون فى الانتاج الجماعى ، ويمكن ادراج ملكية رجال الدين أو « الاقطاع الديني » ضمن هذا النوع من الملكية الخاصة ؛ حيث كانت الزاوية ومقدموها (مقدم الطرق) يملكون الأراضى بالساحل . وغالبا ما يتم استثمارها (هذه الاراضى) عن طريق التويزة (20) .

وقد عرف هذا النوع من الملكية الخاصة بشقيها « الاسرى والدينى» اهتماما كبيرا من طرف أصحابها. فعلى رأى الأستاذ العيد مسعود : « فان أصحاب هذه الاراضى أولوا عناية فائقة بها من حيث موارد الرى واختصاب التربة بالسماد الحيوانى وملاحقتها بوسائل الصيانة والاخذ بنظام المدرجات فى المناطق الجبلية (21) .

وقد ساهم هذا الاعتناء بطريق أو بآخر فى تمويل خزينة النظام العثمانى ، حيث كانت موارد الضرائب على اختلاف أنواعها المفروضة على هذا النوع من الملكية بالريف : هى من أكبر المصادر لثروة الخزينة .

ومن الضرائب التى كانت تتمول منها الخزينة بقطاع الشرق قبل مجيء أحمد باى .

★ الغرامة : تدفع على الاشخاص ، عادة تكون نقودا من الفضة .

★ المشيخة : تفرض على شيوخ القبائل حين يتم تعيينهم .

★ حق البرنوس : وهو لون من الضريبة المفروضة على الشيخ الذى يتولى مهاما فى حدود قبيلته ؛ وقد استبقت السلطة الفرنسية هذا اللون من الضريبة فيما بعد ، بحكم انها تخدم الادارة الفرنسية سياسيا وماليا .

★ الحكـر : ضريبة عينية تجمع من المحصولات الزراعية .

وبمجيء أحمد باى الغيت هذه الالوان من الضرائب ولم يستبق منها الا ضريبة العشر (١/١٠) أى عشر المحصول الذى يدفع لبيت المال وفقا لما جاءت به الشريعة الاسلامية .

وهناك نوع ثالث من الملكية بجانب النوعين السابقين « الملكية العامة والخاصة » وهو المسمى **بارض العزل** الذى هو أساسا من الاراضى التى هى ملك للحكومة (الدومين) ، والذى كانت تمنحه لرجال المخزن أو تؤجره مقابل دفع أجرة سنوية (حكر) مقابل توطيد الأمن وجباية الضرائب .

وقد استغلت فرنسا فيما بعد هذا النوع من الملكية بقطاع قسنطينة ، مثلا حسب احصاء 1866 م ، كان أولاد عطية يشكلون 5300 فرد ينتشرون على مساحة تقدر بـ 32875 هـ ، لم يبق بحوزتهم الا مساحة 3970 هـ ، فى حين تحول 28905 هـ ، ملكا للدومين (22) .

ومما تقدم يمكن القول ان الزراعة هى الصفة الغالبة بهذا القطاع خاصة بالساحل والممثلة فى الانواع الثلاثة من

الملكية : العامة ، والخاصة والعزل . خلاف قطـاع الأرض بالهضاب الذى تغلب عليه صفة الرعى .

وبقيت صفة الزراعة هى الغالبة فى الساحل على الرغم من ضعف الوسائل التقنية واعتمادها على المحراث التقليدى من جهة . وعلى الرغم من ثقل الضرائب على الريف ، مـن جهة أخرى . والدال على ذلك كثرة المردود الفلاحى من الحبوب خاصة ، من ذلك ان معظم دول أوروبا وفى مقدمتها فرنسا التـى كانت تتـزود بهـذه المـادة عقـب أحـداث الثورة بهـا (1789 م) .

وفيما يخص قطـاع الصناعة فعلى الرغم من تواجد بعض الصناعات التقليدية الا أن الهدف منها كان سـد حاجـات الأسرة كصناعة النسيج والسجاد والحلى واستخراج معـدن الحديد بجانب الفحـم والخشب ، ومـع ذلـك كانت المـدن (الحواضر) تتمول من هذه الصناعات الريفية بجانب المردود الفـلاحى .

ويذكر حمدان خوجة انه توجد قرى بالارياف فى جبـال فليسة ، زواوة ، بنى عباس وبجاية، تشبه المدن، حيث كانت المساكن مبنية بالحجـارة ، والسطـوح مغطـاة بالقرميـد وبالمساجد مآذن ، وبهذه القرى مراكز لصناعة الاسلحـة والذخيرة ، حيث كان السكان يعرفون جيدا طريقة استخراج معادن الحديد والرصاص وملح البارود ، بجانب صناعـة

البرانيس والاغطية من الصوف الجيد . علاوة على صناعة النقود ... اذ ان للسكان بهذه المنطقة قدرة فائقة فى تقليد وضرب النقود الاجنبية . كما أن لهم معرفة جيدة فى كيفية حفظ الحبوب مدة سنوات طويلة بباطن الأرض (23) .

وبناء على هذا ، وعلى رأى الأستاذ العيد مسعود خاصة فان مناطق كثيرة عبر أنحاء الوطن عامة والشرق خاصة اشتهرت بصناعتها كقلعة « بنى عباس » التى اشتهرت بصناعة البرانس والحياك ، وكانت قبائل المناطق الجبلية المجاورة لمدينة « بجاية » (فى الشرق الجزائرى) متخصصة فى استخراج الحديد من المناجم الموجودة فى جبالها ، فيصهرونه ويحولونه الى قضبان ثم يبيعونها فى مدينة بجاية والجزائر (24) .

وعلى الرغم من اشتهار هذه المناطق بالصناعات لم تعرف رواجا سواء عبر انحاء الوطن أو خارج الوطن ، وذلك بفعل جملة من الموانع أهمها : فقر السكان المقذع حيث كان أغلبهم خماسة الأمر الذى جعلهم يعملون على الاكتفاء الذاتى، بجانب استغلال الباعة المتجولين وطنيين ويهود .

علاوة على أن فائض الانتاج الصناعى له علاقة بفائض الانتاج الفلاحى الذى يذهب الكثير منه عن طريق الضرائب لصالح السلم الادارى ابتداء من شيخ القبيلة الى المرابط الى اسطانبول مرورا بالباى والداى ــ والى طبيعة النظام

القائم الذى لم يعمل على ايجاد وحدة روحية بل شجع على الحروب بين القبائل . والدال على ذلك قول الحاج أحمد باى : ان عادة العرب (القبائل) هى الحرب وعلى الذى يرغب فى حكمهم أن يعمل على استبقاء هذه العادة بينهم بل أن يحرض على المنافسات بين القبائل المختلفة ... لان أوضاع السلم تقارب بين الصف العربى وتجعلهم متضامنين في أخوة ؛ الأمر الذى يدفعهم الى الثورة ضد نظام الحكم (25) .

التجـــارة :

اقترنت كل من الزراعة والصناعة بالتجارة اقترانا كبيرا. وقام بدور الوساطة بين هذه القطاعات الثلاثة الباعة المتجولون ، من أبناء المنطقة بالساحل أو من الوافدين من مناطق أخرى . وقد لعبت الاسواق الدور الموازى فى عملية التجارة بجانب الباعة. وكانت الأسواق قائمة على مدار السنة طيلة أيام الأسبوع (26) ويشهد لهذه الأسواق بالدور الذى لعبته فى مختلف جوانب الحياة الاقتصادية منها والثقافية وحتى السياسية ، وتنتشر هذه الأسواق عبر أنحاء الوطن .

وقد ساعد ازدهار التجارة الداخلية وجود شبكة الطرقات البرية منها « الطريق العرضانى الشمالى، يربط تونس بفاس مرورا بمدن الكاف وقسنطينة . سطيف ، حمزة . الجزائر ، وهران ، تلمسان ووجدة » (27) .

حيث تباع فى هذه الاسواق كل المنتوجات الصناعية والفلاحية ومشتقاتها ، كالمواد الدهنية والحبوب ، والجلود ، والعسل ، والصوف ، والزيتون ، الخ .

وبفضل هذه الاسواق خرج اقتصاد الريف من اقتصاد الكفاف الذى كان يقتصر على تلبية حاجيات الاسرة ، الى اقتصاد تبادلى بدافع ان تستكمل الأسرة النقص من وسائل الانتاج الاخرى من والى منطقة أخرى؛ بجانب ما تقوم به هذه الاسواق من ادوار أخرى فهى عبارة عن منتوجات حيث يقوى فيها الرباط الوطنى .

ومن ثم عرفت التجارة الداخلية بالشرق الجزائرى ــ كما قال الاستاذ العيد مسعود : ــ ثلاثة مستويات :

1 ــ تجارة محلية فى دائرة تضيق وتتسع .

2 ــ وتجارة بين الريف والمدينة .

3 ــ وتجارة بين التل (الساحل) والصحراء .

ومما تقدم يمكن القول ان التماسك الاجتماعى كان يضعف ويقوى وفقا لضعف وقوة العوامل الآتية : المبادلات التجارية ، الاسواق ، المناسبات كالاعياد ، كل هذا كان يخفف من حدة الصراعات ويعمل على تقريب القلوب باحداث علاقات صداقة وتحالف .

ومن التنظيم الاجتماعي والاقتصادى والادارى بشمال قسنطينة (بالريف) يمكن ان نلمس طبقتين اجتماعيتين هما :

1 ـ طبقة ارستقراطية اقطاعية .

2 ـ طبقة الرعية .

وعلى رأى الأستاذ العيد مسعود فان الطبقة الأولى كانت تتكون من ثلاث فيئات :

1 ـ فئة الشيوخ ،

2 ـ فئة رجال المخزن ،

3 ـ فئة المرابطين .

فكانت هذه الطبقة بفيئاتها الثلاث تسيطر على الريف وتتقاسم انتاجه مع الارستقراطية الحاكمة فى المدينة ، حيث استغلت انتاج الآخرين من أفراد القبيلة ، فحدث ان تحولت ملكيات جماعية الى ملكيات خاصة . وبهذه ظهرت وقويت أسر اقطاعية مثل أسرة ابن قانة فى الجنوب وأسرة المقرانى فى مجانة وابن حبيلس فى جيجل .

اما الطبقة الثانية وهى الرعية التى ظلت هى المنتجة على الرغم من كثرة عددها بجانب انها استمرت تعيش فى بؤس مقذع ، يتحمل أفرادها زيادة على قلة المواد استنزاف **مفعول** الضرائب (السالفة الذكر) . ومن ثم كان التمييز كبيرا بين أفراد الأرستقراطية وأفراد الرعية . فى كل شيء ، فى بذل الجهد ، الأكل ، اللباس وحتى فى الحقوق السياسية ، وكانت أحوال الرعية تزداد سوءا حين يحدث جفاف أو مجاعات أو أمراض أو حروب .

ويمكن ان نختم حديثنا عن الجانب الاجتماعي بذكر اسماء لهذه القبائل والعشائر بقطاع قسنطينة ، مـن الشرق الى الغرب : الحراكتة ، أولاد سيدى يحي بن طالب ، أولاد خيار ، سلاوة ، خرارب ، حنانشة ، الناظور ، بني صالح ، أولاد دهية ، أولاد مسعود ، أولاد ناصر ، برابطية ، بني عمار ، مرداس ، بني ورجين ، سبـــة ، عيشاوة ، شرفـة ، أولاد بوعزيز ، زردازة ، أولاد جبارة ، أولاد عطية ، بني ابراهيم ، عـرب سكيكـدة ، رجاتـه ، بني محمـد ، فـج مـوسى ، تريات ، بني بشير ، بني مهنة ، بني بوناعيم ، بني ولبان ، بني تليـلان ، بني اسحـق ، بني مجاجـدة ، تعـابنـة ، زرامنة ، أولاد نوار ، بني توفوت ، بني خطاب ، بني قايد ، أولاد عواط ، مشاط ، بني فرقان ، بني بلعيد ، بني مسلم ، بني حبيبي ، بني عافر ، (جلة) أولاد عسكر ، بني مروان ، أولاد عبد النور ، تلاغمة ، زمول ، سقنية ، برانية ، أولاد بوعون ، أولاد شيخ ، أولاد سلطان ، أولاد على بن صابور ، أولاد سلام ، أولاد عامر ، بني فوغال ، هاشم (برج بوعريريج) أولاد نابت ، عموشة ، بني غليس ، آيت عامر ، بني مسعود ، بني عمران ، بني كسيلة ، بني سليمـان ، بني ميمـون ، بني سماعيل . الى آخره من القبائل والاعراش الكثيرة .

موجز عن الجانب الثقافى
أواخر العهـد العثماني وأوائل الاحتـلال الفرنسي

سبق وان تحدثنا باختصار عن الجانب الادارى والاجتماعى فى قطاع الشرق الجزائرى أواخر العهد العثمانى ، ونحاول الآن أن نفرد حديثا مختصرا عن « الجانب الثقافى » ونحن نعلم مسبقا ان الحديث فى هذا الموضوع من الصعوبة بمكان نظرا لقلة المادة من جهة ، ولسكوت الدراسات الحديثة مـن جهة أخرى .

فالمعروف عن الثقافة ببلادنا خلال العهد العثمانى ، انها لم تحظ بالاهمية مثلما حظيت به القطاعات الاخرى ، اذ ان رجال النظام بالجزائر آنذاك لم يهتموا بالتعليم كاهتمامهم بجوانب الحياة الاخرى وفى مقدمتها الجانب العسكرى .

ولعـل مـرد ذلك الى ظروف العصر الـذى وجدت فيه الدولة العثمانية وولاياتها ، حيث كانت تلك الظروف تعتمد أساسا على القوة الحربية (برية ــ بحرية) ؛ الامر الذى حذا بالدولة العثمانية وولاياتها (ومنها الجزائر) أن تولى أهمية

لهذا الجانب ؛ الى درجة ان صار ظاهرة مميزة لحكمها هـذا من جهة . ومن جهة أخرى الى تعصب الاتراك والعثمانيين الذيـن حرمـوا أبناءهـم الكراغلـة (28) والجزائريين من تولى مناصب ادارية هامة .

مما تقدم نخلص الى القول أنه من الضرورى دراسة هذا الجانب الثقافى ؛ على رغم ما فيه من صعوبة .

وأن النظام العثمانى أهتم بالجوانب الاخرى دون الجانب الثقافى ، ومن ثم كان هذا النظام يقوم على ثلاثـة مقومات أساسية هى حفظ الأمن بالبلاد ، وحماية حـدود البـلاد ، وجباية الضرائب من خيرات البلاد . باستثناء فترة أواخـر العهد العثمانى التى عرفت خلالها الثقافة تطورا نسبيا عما كان عليه فى السابق وان كان هـذا التطـور غـير مسايـر للواقـــع .

ولهذا كانت الثقافة اعتمدت فى عملية تطورها النسبى على ذاتيتها وعلى اهتمام المجتمع الجزائرى بها انطلاقا مـن الزوايا . ونتج عن ذلك ان ازداد نشاط الطرق الصوفية . وفى ظل هذا نشأت فئة متنورة مـــن الجزائريين أصحاب الثقافة « التقليدية » الذين تصدوا للاحتلال الفكرى بجانب الاحتلال السياسى .

الأمر الذى تولد عنه حرمان البلاد مـن خبـرة هـؤلاء (المحرومين) وتشجيع عناصر أخرى أجنبية كاليهود عـلى

التقرب من السلطة والتحكم في زمام الامور خلال فترات زمنية من هذا العهد .

ومن ثم كان النظام العثماني بالجزائر يقوم أساسا على ثلاثة مقومات هي :

1 ـ حفظ الامن ،

2 ـ حماية الحدود ،

3 ـ جباية الضرائب .

لا يعني هذا أن رجال السلطة العثمانيين لم يقدموا للجزائر من الخدمات الجليلة شيئا ، بل يعود لهم الفضل في تأسيس عاصمة لاول مرة في تاريخ الجزائر ، تتوسط البلاد، وتربط جناحيها ، وكذلك يعود الفضل الى بعض الدايات والبايات في أنهم أولوا عناية كبيرة لجانب الثقافة ، حيث شجعوا التعليم وزادوا في مؤسساته ، ومن بين الذين شجعوا ازدهار التعليم الداي محمد بن عثمان باشا وصالح باي ومحمد الكبير (29) حيث انشأ صالح باي مدرسة الكتانية وألحق بالجامع الاخضر مدرسة ، وأمر محمد الكبير بتوسيع رقعة التعليم ومنح جوائز للبعض من أهل الفكر .

وباختفاء هذا الثلاثي (محمد باشا ، محمد الكبير، وصالح باي) ضعف التعليم وانصرف الاهتمام الى النشاط السياسي والاقتصادي دون توجيه وتنمية الحياة الثقافية ، ومن ثم عرف الجانب الثقافي بالجزائر عامة ، وبالشرق خاصة شيئا

مـن الركود والجمود ، حيث انحصر التعليـم فى الزوايـة التعليمية (لأن أنـواع الزوايا بالجزائـر كانت ثـلاث : تعليمية ، طرقيـة ومرابطيـة) الـتى نافست المدرسـة ، الى درجـة أن صـار النـاس يلتفـون بالمرابطـين أكثـر مـن التفافهم بالعلمـاء ، وتولـد عـن ذلك أن استمـرت المعرفة بصورة بسيطة فأغلق باب الاجتهـاد (30) وبالتالى ازداد الرأى العام اغراقا فى الخرافة .

وأننا نرى جملة من العوامل صرفت أهتمـام السلطـة العثمانية عن هذا الجانب الثقافى ، منها بالاضافـة الى ما ذكرناه من أن للظروف العامة التى وجدت فيها الامبراطورية العثمانية ، والتى لم تكن تسمـح لها الا أن تهتـم بالجانب السياسى ـ العسكرى ، بالاضافة الى ذلك فان الثقافة العربية بوجه عام اعتمدت فى هذا العهد على ذاتيتها فبعد أن كانت العلوم تخدم الدين : صار الدين (بمفهوم ذلك العصر) هو الذى يخدم العلوم ، علاوة على أن تكوين الدولة العثمانيـة كان تكوينا حربيا ولم يكن تكوينا حضاريا مصدره جنس واحـــد .

هذا بجانب العلاقات التى كانت بين رجـال السلطـة بالجزائر وبقية الجزائريين ، والـتى كانت ـ العلاقات ـ متذبذبة ، الامر الذى دفع رجال السلطة الى عدم الاهتمام بالثقافة ، لان هؤلاء الرجال لم يكونوا أصلا من الجزائريين ولا من الأندلسيين، لهذا كان همهم تولى السلطة و نوال الحظوة.

ومن ثم كان من الطبيعي أن تكثر الاغتيالات والانقلابات في صفوف الحكام . وبناء عليه لم يعرف نظام الحكم استقرارا وهو شرط أساسي لازدهار الثقافة . والشيء الايجابي الذى يكون استثناء والذى خدم الثقافة هو « الوقف » الذى خدم الثقافة بشكل أو بآخر .

واذا كان نظام الحكم في الجزائر اعتمد على ثلاثة مقومات ـ كما ذكرنا : حفظ الامن ، حماية الحدود ، جباية الضرائب ـ فان باقي المهام كان موقوفا على الجزائريين، خاصة الجانب الثقافي، وما الدرجة من التطور التي بلغها هذا الجانب الا اعتمادا على ذاتيته ، لان العناية بالمساجد كانت الظاهرة المميزة في المجتمع الجزائرى ، اذ لم يوجد مسجد بلا مدرسة ولا زاوية تخلو من مدرسة ومسجد .

وبذلك يكون المجتمع الجزائرى هو الذى حمل لواء نشر التعليم ، واذا اعتمدنا قول حمدان بن عثمان خوجة فان طاقات فكرية كانت تكمن في أوساط المجتمع الجزائرى . اذ كانت أفكارهم منظمة لا تصعب عليهم الأمور يدركونها بكيفية عجيبة لهذا اعتنوا بالعلوم والآداب فكان منهم شعراء وأساتذة في التاريخ ومشرعون (31) .

وبنام على هذا يكون المجتمع الجزائرى قد ساهم في التراث الثقافي العربي وبالتالي في الحضارة العربية الاسلامية على الرغم من صعوبة الظروف التي كان يعيشها : مؤثر ومتأثرا

بعوامل خارجية منها الهجرة الاندلسية ، التى كانت تختلف عن بقية الهجرات من حيث المستوى الفكرى عن سكان المغرب عامة. لهذا انتشرت معالم الحضارة الأندلسية فى البلاد عامة والشرق خاصة ، سيما فى ميدان التعليم من قواعد اللغة والآداب والعلوم والموسيقى . فطوروا طرق التدريس بأن أضافوا الى طريقة حفظ القرآن لدى الاطفال تعليم الحديث والقواعد العامة ، بجانب الخط الأندلسى الذى نافس الخط المغربى ، وتعيين كبار العلماء منهم فى المدارس .

ومن العوامل الخارجية التى تأثر بها المجتمع الجزائرى عامة والشرقى بوجه خاص انتشار معالم النهضة الأدبية ـ الفنية الاوروبية بظهور جامعات كتلك التى انشئت فى ايطاليا وفرنسا ابتداء من القرن الثالث عشر ؛ حيث كانت تدرس الفلسفة والطب والقانون وسائر العلوم الاخرى ، فاحتك المغاربة بوجه عام والجزائريون على الخصوص بالاوروبيين عن طريق التجارة ، بعد أن كان محضورا عليهم وعلى الكورسيكيين من طرف الغرفة التجارية المارسيلية . ولما جاء نابليون بونابرت سمح للكورسيكيين بحرية ممارسة التجارة وكان من بينهم المغاربة . بجانب العلاقات الأخرى التى كانت نربط قطاع الشرق الجزائرى بتونس التى عرفت ازدهارا ثقافيا عبر مراحل غير قصيرة من التاريخ الحديث وكذلك بجمهوريات ايطاليا .

بالاضافة الى هذه العوامل الخارجية ، قد وجد عامل داخلي ساعد على ظهور الثقافة عبر انحاء الوطن بصورة جديدة وذلك أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ويتمثل هذا العامل في القدر من الاهتمام من طرف رجال النظام العثماني خلال هذه الفترة ، ولعل سر هذا الاهتمام يعود الى تفطن رجال النظام الى الخطورة التي كان يشكلها أصحاب الطرق الصوفية والتي انتشرت بشكل واسع عبر أنحاء الوطن (وسنتحدث عن هذا في جانب المقاومة الوطنية ...) .

اذ أسس رجال السلطة مدارس قصد محاربة الطرقية وشغب المرابطين ، الذين احرجوا النظام خلال هذه الفترة لأن في نشر العلم ردعا لنشاط المرابطين المناهضين، وبالعلم تتفتح العقول ويبتعد الناس عن الانغماس في التصوف والاغراق في الخرافة .

الا أن النتيجة كانت عكسية، اذ ازداد نشاط الطرق الصوفية عبر أنحاء الوطن وبقطاع الشرق خاصة ، وفي مقدمتها نشاط الطريقة الرحمانية (وهي الطريقة الجزائرية الوحيدة) التي عنيت بالتعليم في الجزائر أواخر العهد العثماني في الريف وفي المدينة بعد أن تطورت من زاوية أطعام الى زاوية تعليم . بالاضافة الى عدد كبير من الزوايا المنتشرة في قطاع الشرق ، مثلا زاوية سيدى القوفي بالقل،

بالعابـد في ضـواحي جيجـل ، سيـدى خليفـة بضواحي العثمانية ، الخ .

ومهما يكن ، فطريقة التعليم أواخـر العهـد العثماني بالجزائر عامة وبقطاع الشرق على وجـه الخصوص ، كانت مبعثها الدين ، وتجرى على الوجه التالى :

بأن يتلقى الاطفال وهم في حوالى السن السادسة تلقين القراءة والكتابة ومبادىء الحساب ، بعد حفظ القرآن الكريم الذى هو أساس التعليم الابتدائي .

بعد هذه المرحلة يتلقون دروسا عن فقهاء ، ومنهم من كان يسافر الى تونس ومصر لاتمام تعليمه بجامعتي الزيتونـة والازهر ، كما كان بعضهم يسافرون الى ليفورن بايطاليـا لدراسة الطب واكتساب المعارف الاوروبية (32) .

ومما تقدم يمكن القول ان النظام العثماني بالجزائر لم يهتم بالجانب الثقافي ـ التعليمي ـ بقدر ما اهتم بجوانب الحياة الاخرى ، ومن ثم فالثقافة بالجزائر اعتمدت بالدرجـة الاولى على ذاتيتها وعلى اهتمام المجتمع الجزائرى ؛ أكثـر مما اعتمدت على شيء آخر ، باستثناء فترة أواخر العهـد العثماني ، التي عرفت خلالها الثقافة شيئا من الازدهار .

وفي هذا المحيط الثقافي عاشت ونشأت فئة متنورة نسبيا من الجزائريين كان لها الشأن الكبير آنذاك في المجال الفكرى والسياسى ، والاصلاح الاجتماعى ، خاصة في بداية العهد

الفرنسي ومنهم صالح العنترى والشاذلى القسنطينى ، وابن الفتون ... الخ .

وبمجرد ان تمكنت الحملة الفرنسية فى تحقيق هدفها باحتلالها لكبريات المدن تغيرت بعض الاحوال خاصة تلك التى ذات الصلة بالثقافة . لان الفرنسيين لم يأتوا حاملى السلاح فقط أنما جاءوا حاملين وسائل الاعلام حيث ادخلت المطبعة والجريدة مثل Estaphète, le moniteur algérien والكتاب والمدرسة ولكن هذا الاعلام كان بلباس وبروح وعقل أوروبى ، وهادفا الى تكوين جسم أوروبى فى الجزائر واحلاله محل الجسم الجزائرى العربى المسلم .

وفيما يتصل بالتعليم فى بداية الاحتلال ، فالذى يفهم من التقارير والمراسلات سواء التى كانت بين الجزائر وباريس، من جهة . أو التى كانت بين رجال السلطة الفرنسية داخل الجزائر ، من جهة أخرى. فالذى يفهم وأن اهتماما كبيرا بحركة التعليم أولته الحكومة الفرنسية. الى درجة أن ذهب الأمر ببعض من رجال السلطة الفرنسية الى تفضيل حركة التعليم كوسيلة فعالة للتوسع أكثر من وسيلة السلاح. وأن مراسلات كثيرة فى هذا الشأن تؤكد هذا، واعتمادا على هذا راح الوكيل المدنى (انتندان) يؤسس المدارس سواء فى العاصمة أو فى عنابة لتدريس اللغتين العربية والفرنسية لابناء كل الفيئات أوروبية اسرائيلية وجزائرية .

كتب جانتي دي بيسي الوكيل المدني الى نائبه الوكيل بعنابة يوم 22/12/1832 يقول : ان حركة التعليم هنا بالجزائر تجرى على أحسن وجه حاول من جهتك أن تعمل على تنشيط هذه الحركة .. استعن بالمترجمين .. عينهم رؤساء للمدارس ... حدد أماكن وأسسها مدارس ... وأن الكتب باللغة الفرنسية ستأتي عن قريب .

وبجانب المدارس تأسست المعاهد (كوليج) اذ بقرار أول سبتمبر 1834 م ، تأسس معهد من هذا النوع ... وتلاه تأسيس مدارس عبر الانحاء التي تم فيها التوسع لهذا اللون من الغزو الفكري الأوروبي .

وعلى الرغم من الاعتمادات والاهتمامات قصد جلب أكبر عدد ممكن من الجزائريين الا أن الاقبال كان ضعيفا من طرف هؤلاء ، مثلا كان عدد الدارسين سنة 1839 : 1324 ، منهم 1009 أوروبي و 220 اسرائيلي و 95 جزائريا على الرغم أن عدد السكان الجزائريين يفوق عدد الاوربيين والاسرائيليين (33).

وتعد حركة التعليم هذه في رأينا أكبر خطر هدد الجزائر والجزائريين والثقافة العربية الاسلامية بهذا البلد .

وانطلاقا من الواقع الثقافي أواخر العهد العثماني ـ السابق الذكر ـ يمكن القول : أن ما شهدته الجزائر عامة والشرق على وجه الخصوص من تطور نسبي في المجال الثقافي لا يمكن اعتباره تطورا كبيرا ، بسبب عدم مسايرته للواقع،

وكما قال سعد الله (34) لان الصفة الغالبة على رجال الثقافة من الجزائريين هي «التقليد»، ولعل هذا السبب هو الذى ساعد الفرنسيين على تحقيق انتصار فكــــرى بجانب الانتصـــار السياسى .

وأنه بتمكن الفرنسيين من تحقيق أهدافهم باحتــــلال كبريات المدن ظهرت علاقات اجتماعية جديدة ، الامر الذى نفهمه عن هذه العلاقات أن المجتمع الجزائرى عامة فى أغلب تشكيلاته لم يكن مستعدا للتعامل مع ما جاء به الفرنسيون من نظم سياسية وأفكار جديدة ؛ الأمر الذى احدث تذبذبا فى الكثير من المقومات القائمة فى المدينة أو الريف بالجزائر.

يعنى هذا أنه حدث تحدى أوروبى (مسيحى) ورد فمن وطنى مسلم .

والملاحظ أن الثقافة بالجزائر اعتمدت عــــلى اهتمــام الجزائريين أكثــر مما اعتمدت على أشيــاء أخرى . وكذلك المقاومة الوطنية بشقيها السياسى والفكــرى اعتمدت عــلى المجتمع الجزائرى بفيئاته المختلفة ، (وسيأتى الحديث بشىء من التفصيل عن هذه المقاومة) انما المهم فى الجانب الفكرى من المقاومة الوطنية هــو أن الفئــة المتنــورة ذات الصفــة «التقليدية» هى التى تصدت للتحدى الاوروبى (المسيحى) عبر أنحاء الوطن .

وأخذ هذا التصدى أشكالا كاعـــلان الثورات (وهو ما سنتحدث عنه) أو الهجرة الى المشرق أو العزلة والانطواء فى المرتفعــات .

ويلاحظ على هذه الفئة « التقليدية » كما قال سعد الله (نفس المجلة) متانة الاسلوب فى كتاباتهم وجزالة التركيب فكانت موضوعاتهم القضايا السياسيــة والاجتماعية الــتى طرأت على بلادهم منذ الاحتلال مـــــن جهــة ، وعلى العالم الاسلامى منذ حروب نابليون وظهور القوميات من جهـــة أخرى ، وقد انتهى الامر بهؤلاء بالنفى الى المشرق .

الاحتلال الفرنسي لقطاع الشرق الجزائري

لا تمكن دراسة الاحتلال الفرنسي لقطاع الشرق الجزائري بمعزل عن الاحتلال الفرنسي لكامل الوطن ، لان عملية الاحتلال كانت بهدف كامل متكامل بالنسبة لرجال السلطة الفرنسية : من جهة . ولا تمكن الدراسة أيضا بمعزل عما جد من أحداث عبر العالم ؛ من جهة أخرى .

ومن هنا تدعو الضرورة الى الحديث عن بعض الاحداث العامة . فالمعروف عن الحملة الفرنسية (1830 م) ، انها حققت هدفها باحتلالها لمدينة الجزائر العاصمة دون كبير جهد ، ودون خسائر مادية معتبرة ؛ بالنظر الى ما حققته من مكاسب (35) .

ويفهم الدارس لسياسة فرنسا قبل وبعد هذه الحملة ان رجال السلطة كانوا عاقدين العزم لاحتلال الجزائر كلها وتكوين نظام اداري بها ؛ يكون دعم فرنسا السياسي والاستراتيجي .

ونذكر من بين المواقف السياسية لرجال السلطة الفرنسية تصريحات مختلفة ، منها لدى بورمون De Bourmont بعد دخوله الى العاصمة منتصرا : بأن كل أنحـــاء المملكة الجزائريـة ستخضع لنا خلال خمسة عشر (15) يوما دون أية طلقة نارية واحـدة (36) .

وبعث دى بورمون من جهة أخرى تقريرا الى الوزيـــر دى برلنياك De Polignac يوم 13 جويليا 1830 م ، يلح عـلى ضرورة الاحتفاظ بالجزائر العاصمة حتى الى الشلف وكذلك بمقاطعة قسنطينة (37) .

وعلى ما يبدو أن موقف دى بورمون هـــذا جاء نتيجـة لاعتقاده القوى أن الجزائريين سينضمون الى الصف الفرنسى دون كبير عناء ودون تردد ، بسبب استيائهم من النظـــام العثمانى القائم ــ مثلما سبق وان قلنا ــ عـلى المقومـات الثلاثة والذى اهتم بالجانب العسكرى دون الجوانب الاخرى (راجع الجانب الاجتماعى والثقافى) . وقد شاطرت أوساط فرنسية اعتقاد دى بورمون هذا . مثل وزير البحرية دوسى D'haussez الذى أمر وحداته البحرية على أن تحتل كل الموانىء الجزائريـة .

وكذلك تصريح دو روفيكو De Rovigo : انه بدون السيطرة على مدينة قسنطينة، ومنطقة الشرق لا يمكن البقاء لفرنسا بالجزائر (38) . ولكن ما هى الطرق التى يمكن بها السيطرة

فى نظر دو روفيكو ؟ . انه رأى ضرورة السيطرة ولكن بطرق لينة سلمية ؛ لأن ـ حسب قوله ـ سكان هذه المنطقة على جانب كبير مـن الذكاء والمنعة والقوة ، وأكثر ميلا للحرب بفعـل تواجد وانتشار المرابطين من جهة . وصعوبة الحرب فى جبال وعرة المسالك ، من جهة ثانية . لهذا فالسيطرة يجب ان تتم ببطء على ان يشرع فى التعامل مع السكان والتقرب اليهم ، وهو أفضل سلاح يمكن للسلطة الفرنسية ان تستخدمه (39) . ولعل هذا ما يفسر السبب الذى دفع دو رفيكو الى أن يتفاوض مع أحمد باى ، قصد اقرار السلام بهذه المنطقة ، الذى يعنى الاستسلام للسلطة الفرنسية . وكان رجل المفاوضات بـين دو روفيكو وأحمد باى؛ حمدان خوجة، الذى جاء من العاصمة الى قسنطينة مرتين ، لهذا الغرض ، الا أنه لم يتوصـل الى نتيجـــة .

وكذلك من تصريح فالى، فى تقرير له مؤرخ يوم 9 فيفرى 1839 م : أن الهدف الوحيد الذى يجب على الحكومة الفرنسية ان تحققه هو تكوين ادارة فرنسية قوية تتمكن بواسطتها من فرض السيادة الكاملة على المنطقة الممتدة من الغرب الى تونس ، ومن حوض البحر المتوسط الى الصحراء (40) .

وقد سلك الكثير من رجال السلطة الفرنسية هذا المنحى وحاولوا تطبيق هذا اللون من السياسة ، سياسة الاحتـلال الكامل ؛ فالدارس للآراء النظرية والتطبيقية ، حول القضية

الجزائرية ، يعرف ان أغلب الآراء كانت تدعو الى ضرورة الاحتلال الكامل للجزائر (41) .

ولوضع هذه السياسة موضـــع التطبيق قامت السلطـة الفرنسية باحتلال واسع لقطاع الشرق، عرف هذا الاحتلال لونين : الاول احتلال عسكرى ، **والثانى** احتلال مدنى .

ففيما يتصل بالاحتلال العسكرى ، وبعد ان تمكنت الحملة الفرنسية الثانية على مدينة قسنطينة من تحقيق هدفها كما هو معروف ، وبعد أن لجأ الحاج أحمد باى الى الصحراء بعد ذلك قام رجال السلطة الفرنسية بحملات واسعة النطـــاق قصد الاستيلاء على القطاع كله . وحسبما تبينــه الوثائق الفرنسية ، والتى هى عبارة عن تقارير رسمية ؛ أن حوالى ثلاثين (30) حملة عسكرية قوية مجهزة تجهيزا عصريا وجهت ضد السكان بقطاع الشرق الجزائرى وخاصة شمال قسنطينة وذلك خلال عشرين سنة (20) من سنة 1838 الى 1858 م .

ولا بأس من عرض بعض الحملات على الجدول التالى :

تاريخ الحملة	قوتها	ضد	النتائج
1838	؟	ـ انطلقت من قسنطينة ضد سطيف وجيملة .	ـ حققت انتصارات جزئية. حيث ارغمت القوات الفرنسية على الانسحاب 1839 .
ماى 1839	؟	ـ انطلقت من سطورة (سكيكدة) بقيادة سانت آرنو الى جيجل .	ـ احتلت جيجل احتلالا جزئيا .
1840	؟	ـ منطقة ميلة .	
مارس 1846	1620	ـ انطلقت من سطيف ضد : عين ياقوت بسيدى مبارك ـ عين سبع ـ واد مجدل ـ عين كحلة ـ بوسعادة ـ واد القصب ـ واد الاصنام ـ وميلة .	
مارس ـ أفريل 1846	1400	ـ من سطيف بقيادة بادو ضد قبائل الساحل بقيادة سى موسى محمد بن عبد الله .	ـ جرت معارك كثيرة خاصة فى جبل الصفصاف .
جوان 1846	4425	ـ انطلقت من سطيف الى الضواحى ضد الثائر مولاى محمد .	ـ دمرت كل ما صادفها من محاصيل فلاحية ومنازل .
1848	1281	ـ انطلقت من قسنطينة ضد بنى عز الدين لهم زاوية فى سيدى عيسى .	ـ تحطمت أملاك بنى عز الدين ، قتل من الجانب الفرنسى 52 .
ماى 1849	2102	ـ بقيادة سانت آرنو ضد بنى سليمان ـ واد جمعة ـ ببجاية .	ـ خسرت القوات الفرنسية 33 قتيلا .

تاريخ الحملة	قوتها	ضد	النتائج
ماى ـ جوان 1851	8843	ـ ضد اولاد عيدون ـ فسكان واد زهور ـ أولاد عطية ـ بنى سحق ـ عيشاوى ـ بنى يدر . بقيادة سانت آرنو قصد احتلال جبل سيدى القوفى وجعله نقطة عسكرية استراتيجية لاخضاع المنطقه الممتدة من قسنطينة الى سكيكدة وبجاية .	ـ قدرت خسائر الصف الفرنسى بـ : 349 (قتيلا وجريحا) .
ماى 1851	8791	ـ من سطيف والجزائر وميلة وعنابة وباتنة ضد بنى عيشة اولاد عسكر ، فج باينام ، بنى عمران ، بنى عافر ، بني خلاب، واد شقفة ، شمشمة ، اولاد بلعفول .	ـ لقوا مقاومة عنيفة .
جويلية 1853	6184	ـ سكان عين ولمان ـ بنى حبيبى ، القنار ـ بنى بلعيد ـ واد بوعجول ـ بومرداس ـ جبل مساعد بالميلية ـ بوعسام ـ العشاوى ـ وفج باينام .	ـ خسائر الصف الفرنسى 234 قتيلا وجريحا .

تاريخ الحملة	قوتها	ضـــــد	النتـــائـــج
ماى 1852	7814	ـ بقيادة ماكماهون انطلقت من جيجل نحو القل مرورا بالميلية .	ـ خسائر الصف الفرنسى 19 قتيلا وجريحا .
جوان 1852	7524	ـ ضواحي القل : عين قشرة ـ بنى توفوت ـ بوحجر .	ـ لقوا مقاومة عنيفة خاصة فى سيدى القوفى .
جوان 1852	6009	ـ ضد سكان سيدى القوفى ـ ببى سحق ـ جبا الله ـ القادرية ـ مشاط ـ أولاد عواط ـ أولاد عيدون ـ بنى حبيبى .	ـ خسائر الصف الفرنسى 243 قتيلا وجريحا .
ماى ـ جوان 1853	12370	ـ انطلقت من سطيف بقيادة الثلاثى ماكماهون وروندون ولوسكى ضد سكان البابور ـ جيجل ـ الوادى الكبير حيث القبائل الثائرة .	ـ جرت معارك كثيرة قتل وجرح من الصف الفرنسى 104 وصلت الى جيجل برفقة المبشر الأب ريجيس .
نوفمبر ـ اكتوبر 1858	4885	ـ بقيادة قاستى انطلقت من ميلة وقسنطينة وبجاية وسكيكدة ، ضد سكان الميلية ـ اولاد عواط ـ مشاط ـ بنى مسلم ـ وبنى عيشة .	

اذن مما تقدم يتأكد وان السلطة الفرنسية كانت عاقدة العزم على احتلال كامل الشرق الجزائرى ، والدال على ذلك هذه الحملات العسكرية الواسعة والمركزة ، ولكن ما هو هدف فرنسا من وراء هذا الاحتلال ؟

يوجد أكثر من مؤشر يؤكد ان اهتمام السلطة الفرنسية بقطاع الشرق الجزائرى يعود الى فترات سابقة عن الاحتلال منذ أن أسست لها قواعد نفوذ بسواحل الشرق (القالة) . أو منذ ان اعلنت الحصار البحرى ضد الجزائرى سنة 1827 ، وان ذلك الاهتمام كان لهدف ان تحقق فرنسا جملة من المكاسب أهمها : المكاسب السياسية والاقتصادية والثقافية .

ففيما يتصل بالمكاسب ، فان الظروف الدولية كانت تفرض على فرنسا ان تحدث لها مواطن نفوذ تكون نقاطا استراتيجية تحمى بها نفسها من الخطر الروسى والانجليزى ، وتساعدها على الاحتواء لمناطق أخرى، والذى يؤكد هذا موقف نابليون بونابرت الرامى الى احتلال كل ولايات المغرب العربى من جهة . وموقف رئيس الوزراء دى بولينياك زعيم الجناح اليمينى بفرنسا الذى رأى فى عملية الاحتلال تحقيقا لجملة من المكاسب، سواء تجارية منها، باحداث شبكة من المؤسسات التجارية الفرنسية بافريقيا، وكذلك مراكز ثقافية لانتشار المسيحية ، وعاملا منافسا لنفوذ بريطانيا فى حوض البحر المتوسط وخاصة فى الشرق (42) من جهة أخرى .

بجانب ان اقليم الشرق الجزائرى غنى بثرواته الطبيعية والحيوانية خاصة : زراعة الحبوب بمختلف أنواعها بجانب الانتاج من الزيت والزيوت والعسل والصوف والجلود بجانب الثروة الخشبية (43) . اذ انه خلال الفترة الممتدة من سنة 1816 الى 1827 تمكنت الشركة الملكية الفرنسية من شراء كميات هائلة من زيت الزيتون والحبوب والجلود والصوف وذلك من ميناء كل من سطورة والقل . وهو الامر الذى شجع رجال السلطة الفرنسية على احتلال كامل الشرق الجزائرى ، ومنهم دامريمون Damrémont الذى بعث الى وزير الحربية الفرنسية يوم 12 ماى 1837 يعرفه بأهمية هذين المينائين ويدعوه الى ضرورة انشاء ادارة بحرية بسطورة (44) .

وتجاوب وزير الحربية مع هذه السياسة حيث أصدر تعليماته يوم 10 ديسمبر 1837 الى القائد فالى على ان يعمل على احتلال مقاطعة قسنطينة باكملها ، وعلى أن يخطط بشكل جيد لايجاد طرق ناجحة لربط الساحل بالداخل ، ومن جهة أخرى عمل ــ هذا الوزير ــ للحصول على مبلغ مالى من مجلس النواب الفرنسى قصد انشاء ثلاثة طرق لربط كل النقط الهامة بقطاع الشرق الجزائرى (45) وقد حاول قادة الاحتلال العمل بهذه التعليمات .

وقد قدمت مشاريع كثيرة للاستيلاء على قطاع الشرق واستثماره ؛ من ذلك المشروع الذى قدم سنة 1844 ــ 1845 قصد الاستيلاء الكامل على الجزائر وتجنيد الجزائريين فى

الصف الفرنسي ، وكان بادو من الذين قدموا مشروعا يرمى الى تحقيق الاهداف المرجوة (46) .

اذ فور احتلال مدينة قسنطينة شرعت السلطة الفرنسية فى اقامـة نظام ادارى فى قطـاع الشرق الجزائرى اتخذت مدينة قسنطينة عاصمة له بعد ان كانت مدينة عنابة . وبذلك صار النظام الادارى يتشكل من أربع دوائر تابعة لقسنطينة المركز ؛ وهى : عنابة ـ القالة ـ قالمـة ، وليدوغ . عين على رأس كل دائرة ضابط فرنسى يتولى المهام العسكرية المدنية والقضائية ، ثـم توسع هـذا النظام الادارى ليشمل بعض المناطق الأخرى حيث اسندت القيادة لهذه المناطق الى شيوخ جزائريين ؛ نذكر منهم على ابن عيسى عين خليفة على الساحل الممتد ما بين جيجل وليدوغ .

* الشيخ الحملاوى على اقليم فرجيوة (بين قسنطينة وسطيف)
* الشيخ المقرانى على اقليم مجانة (بين سطيف والبيبان)
* ابن قانة الذى اعتمد له لقب شيخ العرب على الصحراء . بجانب بعض القادة الذين عينوا على : الحنانشة ، الحراكتة عامر الشراقة ...
* والملاحظ عن هذا النظام الادارى انه شبيه بالنظام السابق فى العهد العثمانى .

وقد تطـور هذا النظام الادارى ليشمل مناطق أوسـع . فحسبما تؤكـده جريدة المبشر العـدد 37 بتاريخ 1849 ، ان

مدينة قسنطينة صارت عمالة تتكون مــن 26 قسمة ، منها : قسمة بني توفوت ، الساحل الظهرى ، عجانــة ، زردازة ، زواغة ، الوادى الكبير ، الساحل القبلى ، بنى قطيط ، أولاد خباب، غمريان، أولاد بوصلاح الصراوية، أولاد عبد النور، الزمول، السقنية، أولاد عزيز، أولاد محاوش، عامر الشراقة ســلاوة ، الحراكتة ، تبسة ، أولاد سيدى يحيى بن طالب ، بلاد جيجل . واسندت لباتنة مهمــة الاشراف الادارى عــلى أولاد سلام ، أولاد بلعون ، أولاد سلطان ، أهل الأوراس ، النمامشة .. الخ .

ومن جهة أخرى دعت الضرورة برجال السلطة الفرنسية الى العمل على القيام باحتلال عسكرى متازمن ومتوازى مــع احتلال مدنى ، هذا الاحتلال الاخير الممثل فى تشجيع الهجرة الاوربية الى الجزائر ، ونحاول توضيحه بالشكل التالى : (47)

السنــة	المهاجرون الاوربيون	منهم الفرنسيون
1840	28000	؟
1849	122000	60000
1851	131283	66006
1856	159282	92738
1861	192746	118804
1866	218000	122119
1870	220000	125000

ويتوزع المعمرون فى قطاع الشرق الجزائرى ببعض المدن التالية ، وذلك سنة 1866 :

قسنطينة	10005	قــالمة	2334
عنــابة	10519	سطيف	1304
سكيكدة	10002		
القــالة	2012		

وبالشروع فى عملية الاحتلال المدنى حدث تفكك اجتماعى بل هجرات جزائرية الى المشرق ، من ذلك ان مدينة قسنطينة التى سبق الحديث عنها في الجانب الاجتماعى ان سكانها كانوا أكثر من 40 ألف نسمة وهناك من قال 80 ألف (كامل باى) . نزل هذا العدد حتى مثلا صار سنة 1843 حوالى 20882 منهم 1919 أوربى ، وسكان عنابة 6006 أوربى و 3973 جزائرى . (48)

جانب من المقاومة الوطنية :

وأمام هذا الفعل الفرنسي المتمثل في ضرورة احتلال كل البلاد تولدت ردود فعل وطنية قوية ؛ حيث هبت التشكيلات الاجتماعية الجزائرية منذ أن وطأت اقدام الفرنسيين أرض الوطن، والتحمت فيما بينها سواء في الغرب أو في الوسط أو الشرق للوقوف أمام خطر هددها من الخارج، وتمثل ذلك الالتحام بالغرب في مبايعة عبد القادر أميرا عليها، وبالوسط في الالتفاف بالشيخ بن زعمون وابن المبارك وانصارهما . وبالشرق في وقوف معظم السكان شيوخا ومرابطين وعامة ؛ صفا واحدا بقيادة الحاج أحمد باى . وبالشيوخ فيما بعد الأمر الذى يجعلنا نعتبر هذه المبايعة والالتفاف والوقوف صفا واحدا ؛ نعتبر ذلك البداية الصحيحة للمقاومة الوطنية بل للحركة الوطنية ، الجزائرية في صورتها الواسعة . حيث استطاع الأمير عبد القادر بحنكته السياسية وقوة ايمانه ؛ أن يجمع اليه شيوخا لقبائل ولعشائر عديدة وان يطور هذه الحركة بسرعة ويحولها الى دولة ، وكذا الشأن بالنسبة لأحمد باى ومن جاء بعده .

الا ان المقاومة الوطنية بقطاع الشرق الجزائرى اعترضتها جملة من الصعاب حدت من قوتها وجعلتها فى نطاق محدود ، من هذه الصعاب :

1 ـ انشطار المقاومة الوطنية بين الزعيمين الامير وأحمد باى نتيجة للصراع الحاد على شرعية الحكم ، وقد أكملت الثورة التحريرية (1954) ذلك النقص الذى وقع فيه كل من هذين الزعيمين .

2 ـ تواطؤ نظام الحكم التونسى خلاف الشعب التونسى وتعامله مع السلطة الفرنسية منذ الوهلة الأولى من الاحتلال، حيث امتد الطمع بهذا النظام الى محاولة الاستيلاء على أجزاء من الوطن الجزائرى وخاصة قسنطينة .

3 ـ تعامل البعض من الشيوخ، والمملوك يوسف خاصة مع السلطة الفرنسية التى وظفتهم كأحسن أداة لاجهاض المقاومة الوطنيـــة .

4 ـ لم يكن بحوزة السكان الجزائريين جيش نظامى .

5 ـ وبالمقابل كانت للسلطة الفرنسية كفاءة حربية وغير حـــربية .

6 ـ غياب السلطة الشرعية بعد سقوط كل مـــن الامــير وأحمد باى .

7 ـ عدم تمكن اية جهـة وخاصة السلطنة العثمانية من تقديم أية مساعدة حربية ، نظرا لظروفها التى لمحنا اليها فى الحديث عن الجانب الثقافى .

على الرغم من تظافر هذه العوامل ضد المقاومة الوطنية ، الا ان المقاومة استمرت على نطاق واسع عبر انحـاء الوطن عامة وفى مقاطعة قسنطينة على وجه الخصوص ، من ذلك ان الحملات الفرنسية استمرت الى سنة متأخرة من الاحتلال حيث لـم يتم لها الاحتلال الا بعـد سنة 1871 ، وفى بعض المناطق الاخرى الا فى نهاية القرن التاسع عشر ، وان القل مثلا لم تتمكن من احتلاله القوة الفرنسية الا بعد خمس (5) حملات وانه قد تتالى على القيادة العامة والحكم بالجزائر من سنة 1841 الى سنة 1851 سبعة حكام عامون بدءا ببيجو الى روندون .

وقد اتسمت المقاومة الوطنية بقوتين : قوة العمل السياسى العسكرى وقوة العمل السياسى الفكرى .

تتمثل قوة العمل السياسى العسكرى فى رفع السلاح عبر أنحاء الوطن ضد التواجد الفرنسى ساعة ان وطأت أقدامـه أرض البلاد .

وقوة العمل السياسى الفكرى المنظم الذى ظهر فى بداية الأمر كتيارات سياسية (وان كانت لم تتطور الى أحزاب) مـن طرف جزائريين غـير محترفين للسياسة ولكنهم كانوا يمثلون الصفوة أو النخبة الاولى والتى كانت عـلى درايـة

بخبايا السياسة الفرنسية ، وبعلاقاتها بالظروف الدولية : العربية ـ الاسلامية منها والأوروبية .

ونذكر من بين اعضاء هذه النخبة حمدان بن عثمان خوجة وأحمد بوضربة ، وغيرهما الذين كانوا من ألمع العناصر الوطنية التى لعبت دورا هاما فى تطور القضية الجزائرية خلال بداية الاحتلال الفرنسى . ولا داعى للدخول فى تفصيل عن هذا الموضوع . انما المهم هو أن هذه التيارات تطورت خلال مراحل لاحقة الى أحزاب سياسية قوية وهيئات فكرية اصلاحية .

وبذلك تكون للمقاومة الوطنية أبعاد سياسية وعسكرية وفكرية ظهرت كمقومات عاش بها الشعب الجزائرى وتعايش معها على شكل متوازى ومتكامل .

وما الثورة التحريرية الكبرى الا الحصيلة والتتويج لبقية الثورات التى كانت على مدى أكثر من قرن من الزمن .

وكان لهذه المقومات الثلاث فضل فى حفظ القدر الكبير من ذوبان الشخصية الوطنية، خلال ليل الاستعمار الطويل ، هذه الشخصية التى كانت أحسن أداة لنجاح الثورة التحريرية

وفيما يتصل بالمقومين العسكرى والفكرى من المقاومة الوطنية فقد كانا بدافع قوى من وازع الجهاد ضد « المسيحى الكافر » لانه بعد احتلال الجزائر العاصمة حدث فراغ ادارى وتفكك اجتماعى واقتصادى داخل الجزائر . وقد ساهمت

السلطة الفرنسية فى المزيد من هذا التفكك بمحاولة أفراغ المؤسسات الوطنية من محتوياتها ، كتحويل المسجد الى كنيسة والقضاء الاسلامى بقوانين مدنية فرنسية ، والاوقاف الى الدومين ، واللغة الفرنسية مكان العربية وغير ذلك من الاجراءات . ومع ذلك لم تتمكن السلطة الفرنسية بهذه الاجراءات من تعويض الجزائريين بما كانوا يرجونه بعد غياب الزعامة الشرعية (استسلام الداى) .

حقيقة أن الاستعمار استطاع الى حد ما أن يمزق وحدة الصف الجزائرى، ويحدث تفككا اجتماعيا واقتصاديا ، وفى بعض الجهات فراغا اداريا ، لكنه لم يتمكن من أذابة الشخصية الجزائرية ، بفعل انه لم يكن للجزائريين رغبة فى امتصاص الثقافة الفرنسية ، اذ أنهم منعوا حتى أبناءهم من الدخول الى حضيرة التعليم الفرنسى ، سواء بالجزائر أو بفرنسا على الرغم من الحاح رجال السلطة الفرنسية واستعمال كافة الوسائل للوصول الى هذه الغاية .

وقد تولى كل من أحمد باى والامير الزعامة الشرعية فى قيادة البلاد ، وعلى الرغم من أن كلا منهما كان يعمل فى ميدانه بعيدا عن الآخر الا أنهما كانا متفقين حول هدف واحد هو طرد الفرنسيين وتحرير البلاد ، ولكنهما اختلفا فى أسلوب العمل (القيادة) . الا انهما لم يعمرا طويلا بفعل جملة من العوامل (لا يجوز ذكرها فى هذا المقام) .

وقد حاول رجال الدين الطرقيين الاحتفاظ بهذه السلطة الشرعية عن طريق الولاء لآل البيت (عن حق .. وعن وهم) بواسطة زواياهم المنتشرة عبر أنحاء الوطن ، فتمكن لهم أن لعبوا أدوارا هامة عبر مراحل زمنية طويلة . وانى لا أحسب نفسى على خطأ ان قلت : فالدور الاكبر فى المقاومة الوطنية العسكرية والفكرية في بدايتها كان على عاتق هؤلاء الرجال .. وقد يخالفني البعض فيما أذهب اليه .. لانه فى رايى أن الزوايا التى كانت وراء كل الثورات والانتفاضات .. كان الشعب الجزائرى يتبناها حاميا لها معتصما بها، وبذلك حلت الزوايا محل الهياكل الادارية التى سبق وان كانت قائمة ، من جهة، ولان دورها كان يستمد قوته من الدين الاسلامى : وسيلته التعليم والقيام بالجهاد ، من جهة أخرى .

ولا يعنى هذا اننا ننكر ما اذا كان لرجال الدين الطرقيين دورا سلبيا ، فالطرقية كما قال حمدان خوجة فى كتابه المرآة كانت نعمة ونقمة على المجتمع الجزائرى ، لانها من وجهة أخرى ، قد أغرقت المواطن بل المجتمع الجزائرى فى الخرافة والشعوذة .

وتكفى الاشارة هنا الى بعض الطرق وهى الرحمانية والقادرية والدرقاوية اللواتى لعبن دورا مؤثرا في الثورات. ولا بأس من الاستعانة بالاحصائية التى قدمها أحمد نذير ونقتبس منها فيما يخص قطاع الشرق الجزائرى ، وذلك حسب احصاء 1851 (49)

عدد السكان
1038962

الرحمانية	الطيبية	القادريه	الدرقاوية
67139	15645	8342	—

التجانية	الزيانية	الحنصالية	غيرها
4952	—	1172	2634

لهذا فاغلب الذين رفعوا السلاح ضد الفرنسيين كانوا شيوخا اسندوا ظهورهم الى مقدمين لطرق معينة خاصة الرحمانية والقادرية ، من ذلك أن مولاى محمد مقدم الطريقة الرحمانية هو الذى حرض على الهجوم على برج زغاية (وسيأتى الحديث عنه) .

فرجال الدين الطرقيين على اختلاف مستوياتهم وعطاءاتهم مثلوا فى رأيي وجها من وجوه المقاومة الوطنية فى صورها الاولى/العسكرية والفكرية/ خلال القرن التاسع عشر . والشواهد على ذلك كثيرة مثلما سبقت الاشارة . ويكفى أن نذكر أن المقاومة الوطنية التى قادها الامير عبد القادر كان أساسها فكر صوفى .

في حين مثلت النخبة الجزائرية وجها آخر من المقاومة الوطنية/السياسية الفكرية/وقد تطور هذا اللون من المقاومة بتطور الظروف ، الى أن ظهرت في مطلع القرن العشرين بشكل سياسي محترف ، ومن ثم يبتعد رجال الدين الطرقيين من الساحة لعدم قدرتهم على مسايرة الظروف ذات الابعاد والمتناقضات ، فجنحوا الى السهل أى الى الاغراق فى الخرافة والشعوذة .

وقد تفطنت السلطة الفرنسية الحاكمة بالجزائر أو بفرنسا الى أهمية الطرق الصوفية،والى مؤثراتها على العقلية الجزائرية. فحاولت أن تستخدمها كأحسن أداة للتوسع والسيطرة اذ أنها حاربت البعض منهم بقوة السلاح واستمالت البعض الآخر وشجعته على حساب البعض الآخر ، باثارة النعرات بين صفوفهم وتعيين بعض منهم قيادا ، وبذلك انحرف رجال الدين الطرقيين على « الصراط » سواء بالنسبة الى الطرقية نفسها أو بالنسبة الى القضية الجزائرية .

ومما تقدم يمكن القول أن السلطة الفرنسية استخدمت جملة من الوسائل مكنتها من الاحتلال ؛ ومن هذه الوسائل :

1 ـ أثارت النعرات داخل الصف الجزائرى .

2 ـ استمالت من ساعدها من الجزائريين .

3 ـ وظفت القوة العسكرية عبر حملات واسعة النطاق .

4 ـ ربطت قضية الجزائر بقضايا فرنسا الداخلية ، وعملت على تهجير الكثير من الفرنسيين والأوروبيين لاقامة مستوطنات قصد المزيد من السيطرة والنفوذ .

والملاحظ عن السياسة الفرنسية بهذا القطاع القسنطينى أنها لم تعرف الاستقرار، اذ أن الفترة الممتدة من سنة 1837 ـ 1841 ، وهى أهم فترة فى حكم لويس فيليب ، عرفت شيئا من الحذر والترقب والاحتلال الجزئي . وان الفترة التالية حتى الى سنة 1851 وهى فترة الجمهورية الفرنسية الثانية حيث كان لويس نابليون رئيسا ، وتيار (Thiers) رئيسا للوزراء (1840 ـ 1848) وقيزو (Guizot) خلفا له حتى الى سنة 1851 . وبيجو حاكما عاما على الجزائر (فيفرى 1841 ـ سبتمبر 1847) قد عرفت هذه الفترة تطورات سياسية نلمس ملامحها فى الاحتلال الكلى ، واعتماد سياسة الارض المحروقة واقامة مستوطنات ، اذ أنه بقرار 19 ـ 9 ـ 1848 تم الاستيلاء على أجود الاراضى ، واقامة عليها 42 مستوطنة فلاحية أوربية عبر أنحاء الوطن، منها(9) مستوطنات بقطاع الشرق الجزائرى منها قستنغيل (صالح بوشعور) روبار تفيل (رمضان جمال) جيمابس عزابة حاليا .

ويتساءل الدارس عن الاسباب التى دفعت برجال السلطة الفرنسية الى تطبيق هذا اللون من السياسة : أى الاحتلال الكلى . لعل الاجابة تكون باختصار على الشكل التالى :

أن الحكم خلال هذه الفترة كان حكما عسكريا مدعما بالمكاتب العربية من جهة ، وأن قواسم مشتركة بين الحاكم العام (بيجو) ورجال الحكومة الفرنسية (تيار) حول ضرورة الاحتلال الكلي، وللدلالة على هذا يكفي القول أن وزارة الحربية حصلت على خمسين مليونا فرنك بمقتضى هذا القرار (1848) قصد استثمارها فى الجزائر وتشجيع المهاجرين الاوربيين .

بفضل هذه السياسة انتشر الاستيطان بشكل واسع عن طريق توزيع الاراضى سواء على المستوطنين الاوربيين أو على بعض الوجهاء الجزائريين . وبناء عليه ما جاءت سنة 1859 حتى تم انشاء 56 قرية فلاحية . بجانب هذا أقيمت فى المناطق الداخلية مراكز سميت بالابراج ، ومنها برج زغاية (الذى يكون أعتمد) الذى زود بالمؤونة الكافية قصد رقابة أى تحرك جزائرى ، وعلى الرغم من ذلك فان السياسة الفرنسية لم تعرف الاستقرار ، ويكفى أن نذكر أنه تعاقب على الحكم فى الجزائر سبعة حكام ، ما بين الفترة 1848 ــ 1851 من جهة ، وان عدد الجيش الفرنسى كان يتزايد بشكل رهيب يتضح هذا من الرسم البيانى التالى المدرج ضمن الملاحق رقم عشرة (10) من جهة أخرى :

وقد رافق هذه السياسة المتمثلة فى الجانبين العسكرى والاستطانى لون آخر من السياسة تمثل فى أثقال السكان بالضرائب بعد سلبهم لاراضيهم ، وتكفى الاشارة الى أن

حوالى 343380 هكتار ، وهى ملك لـ 16 قبيلة قد افتكت منها خلال الفترة 1851 ــ 1861 ويعنى هذا سياسة الطرد المباشر .

والدارس للكتابات الاوربية من مؤلفات وتقارير وجرائد ومنهـا جريدة السيبوس (1844 ــ 1872) بتاريخ 12 جويليا 1861 ؛ يتضح له مدى البؤس الذى أصاب قطاعات كثيرة مــن جهات الشرق الجزائرى ، هناك من القبائل من اغتصبت لـه نسبة 50،4٪ من أراضيها ، وفى بعض الجهات الاخرى نسبة 85٪ . الامر الذى أدى بالكثـير مــن السكان الى الهجرة الى المشرق والى بعض الجهات الجبلية .

وعلى الرغم من وقوف بعض القادة الفرنسيين ضــد هذه السياسة .. الا ان الامر سار على شكل أقوى خاصة من طرف السلطة الفرنسية ؛ التى منحت لشركات أجنبية حق الاستثمار لمساحات واسعة من الاراضى ، من ذلك مـا منـح من مقدار 12340هـ، سنة 1853 للشركة السويسرية(50). بجانب حوالى 50 ألف هكتار لشركات أخرى. وحوالى 250 ألف قسمت على 4600 قطعة فلاحية منحت للاوربيين .

بجانب الاجراءات الاخرى مثل الغـاء القانون الجمركى (1851) وانشاء المصرف الجزائرى (1852) ، وذلك قصد التحكم أكثر فى ثروات البلاد ، علاوة على انشاء طرق برية وسكة حديد (1857) .

ونتيجة للسياسة الداخلية بفرنسا والجزائر تعـين عــلى الحكومة الفرنسية ان تنشىء «وزارة الجزائر والمستعمرات»

(1858 ـ 1861) حيث ألغى منصب الحاكم العام ، واللجنة الاستشارية ، ونصب جيروم ابن أخي لويس نابليون رئيسا لهذه الوزارة . وعلى الرغم مما عرف على جيروم من ميول ديمقراطية ، أى انه كان مناهضا لعلية رجال الدين : والعسكريين على حد سواء ؛ على الرغم من ذلك فقد دلت أولى اعماله وافكاره على انه كان يهدف الى أن يجعل من الجزائر الامتداد لفرنسا،تحكم بواسطة القانون الفرنسى ومباشرة من فرنسا ، أى انه أراد أن يحكم الشعب الجزائرى بمنظور بعيدا كل البعد عن واقع الجزائريين ، ومن ثمة ظهرت سياسة فرنسية جديدة ساعدت المعمرين الاوربيين على مضاعفة نفوذهم ، واضعفت العناصر الوطنية المقاومة ، وضاعفت من تفتيت القبائل واحدثت اهتزازات اجتماعية . بأن شجعت الخماسين الجزائريين على الفرار من عند الملاكين الجزائريين الى المستوطنين الاوربيين ، وتحول الكثير من هؤلاء الملاكين الى خماسين . كما تم الغاء القضاء الاسلامى وارغام الجزائريين على الرجوع فى قضاياهم الى المحاكم الفرنسية الامر الذى دفع بالجزائريين الى التململ والاستعداد للثورة .

الا ان هذه الوزارة لم تعمر طويلا اذ الغيت بمرسوم يوم 26 نوفمبر 1860 . وحاولت الحكومة الفرنسية سن سياسة تحد من نشاط ونفوذ المدنيين الاوربيين ؛ الا ان هؤلاء ثاروا ضد السياسة الفرنسية الجديدة ، وخاصة ضد العسكريين

واتهموهم باثارة المسلمين حتى يتمكنوا من الانفراد بالسلطة في البلاد ، وزيادة في النفوذ ، وقد وظف المعمرون ثورات الجزائر كأحسن اداة لضرب العسكريين ، فما كان على نابليون الا ان أعاد منصب الحاكم العام سنة 1860 .

وكانت سياسة الحكومة الفرنسية بعد الغاء هذه الوزارة لم تكن بحال يخفف من حدة التوتر ، فعلى الرغم من محاولات الامبراطور نابليون الذى طالب « بصنع شىء لصالح الجزائريين » هذا الشيء الذى رغب فيه أن يكون فى نظام جديد اسماه : « المملكة العربية » والقائمة على أساس الدمج بين الجزائريين والأوروبيين . ويفهم من مراسلة الامبراطور نابليون الى المارشال مالاكوف سنة 1863 ، والذى قال فيها : « لابد وان الشورى تشرع عن قريب بترتيب احكام الجزائر ... فى شأن ملكية العرب ... واما اليوم فعلينا ان نعمل ما هو فوق ذلك أى علينا أن نقنع العرب ونؤكد لهم بأننا ما دخلنا الجزائر لنظلمهم وننهبهم بل لنتحفهم بفوائد التمدن ... وانا ان كنا فعلنا ودفعنا العرب الى أقصى البادية لنكونن قد رشقناهم بمصاب هنود أمريكا الشمالية ... وانى لاقول تكرارا ان الجزائر ليست بعمالة خارجية ولكنها مملكة عربية ... وانى لسلطان العرب كما انى سلطان الفرنسيس » (51) .

وقد أعلن المعمرون رفضهم المطلق لهذه السياسة ، وعلى رأسهم حاكم الجزائر « بيليسية » .

والمقيم لسياسة نابليون الامبراطور يلاحظ التناقض الكبير فمن جهة حاول أن ينصف الجزائريين حقوقهم فى ضوء المشروع « المملكة العربية » ومن جهة أخرى كان يهدف الى تشجيع الهجرة الاوربية ، وتشجيع الرأسمال الاوربى الحر لاستثمار خيرات الجزائر ، ومن جهة ثالثة اعتمد على العسكريين في تطبيق هذه السياسة ، الامر الذى تولد عنه أن :

ـ استفحل أمر المدنيين الاوربيين وازداد نفوذهم السياسى والاقتصادى .

ـ عظم شأن اليهود الساكنين بالجزائر .

ـ ازدادت الامراض والمجاعات .

ـ اتسعت حركة التبشير المسيحى .

ـ ظهرت الثورات الجزائرية من جديد على الرغم من محاولة استمالتهم بواسطة احداث مؤسسات دينية اسلامية وتشجيع الجزائريين للذهاب للحج ، وكان من بين هذه الثورات ثورة زعاية .

الهجوم على برج زغاية :

ومن الثورات التى قامت فى قطاع الشرق الثورة التى قام بها سى زغدود سنة 1842 ، الذى أعلن نفسه سلطانا على البلاد وعين لــه خلفاء فى معظم الانحاء ، وأول اعمال سى زغدود ضد الفرنسيين شنــه لحرب العصابات ضد الاعمال القائمة لتعبيد طريق الكنتور ، ثم هجم بجيش قوته حوالى 6500 مــن الجزائريين عــلى مركز الفرنسيين الكائن بالحروش يساعده فى ذلك معظم سكان المنطقة بقيادة الوجهاء من القوم ، منهم اسماء مثل سيدى محمد بن عبد الرحمن وابن زطوط .

وبعد موت سى زغدود ثار أحد المرابطين واسمه سى محمد بودعلى فى جوان 1843 فى شمال قسنطينة حيث انضم اليــه سكان المنطقة الممتدين من عنابة الى بجاية .

وقام من جهة أخرى أحد الثائرين واسمه ابن يمينة حيث حاصر الجيش الفرنسى المحصن فى الحروش وطلب من القائد الفرنسى الاستسلام والدخول فى الاسلام .

وعلى الرغم مـن أن عوامل موضوعية كانت تنقص هذه المقاومة التى فشلت فى الحصول على أهدافها ، الا ان المقاومة استمرت وفى مناطق متعددة ، حيث ثار بنو عافر وبنو يدر ضد الفرنسيين سنـة 1859 . وكذلك زواغة وأولاد سيدى الشيخ وغيرهم .

ونحاول استعراض جانب من هذه المقاومة والمتمثل فى الهجوم على برج زغاية .

بدأت هذه الثورة عـلى شكل هجوم مسلح قام بـه سكان المنطقة على « برج » زغاية الواقع شمال غرب ميلة ، كما هو موضح فى ملحق رقم 11 . والذى كان يمثل قوة الفرنسيين بهذه المنطقة ؛ ومن ثم نفهم أهمية هذا الهجوم الذى سنحاول التعرض اليه من خلال النقاط التالية :

أولا : الاعداد .

ثانيا : الهدف .

ثالثا : النتائج .

مرحلة الاعداد : تظافرت جملة من العوامل دفعت سكان المنطقة الى اعداد هذا الهجوم ، من ذلك ان السلطة الفرنسية المتمثلة فى قوتها العسكرية والبعض من « المتعاملين » معها ؛ وكذلك فى المكاتب العربية ، كل هذه القوى كانت الادوات التى حركتها السلطة الفرنسية فى كل الاوقات ضد أى صف جزائرى ؛ كانت عملت عـلى اثارة النعرات والشقاقات بين

أفراد الأسرة الواحدة، وبين شيوخ القبائل، ومقدمى الطرق الصوفية ، بجانب الضرائب التى كانت تفرضها عـلى الاسر الموسعة وعـلى الفلاحين بهذه المنطقة . حيث كان سكان هذه المنطقة يتحملون اعباء ثقيلة ، اذ أن نسبة كبيرة من مردود فلاحتهم تنقل لتمول الخزينة الفرنسية .

ويتأكد هذا من الاحصاءات الكثيرة التى قدمتها أوساط مختلفة : ونسوق احصاء قدم سنة 1863 م ، يوضح أن سكان الساحل دفعت خلال هذه السنة الى الخزينة الفرنسية حوالى 75000 فرنك كضريبة وحوالى 40600 فرنك زكـاة (ومـن الغرابة هنا ان تدفع الزكاة من مسلم الى « كافر » .

ويتأكد بوضوح أن الخزينة الفرنسيـة كانت تتمـول وبشكل موسع من الضرائب المفروضة على الجزائريين ، مـن ذلك ان خليفة بابور وهو أحمد بن الدراجى بن عاشور فى تقرير له الى أحد رجال السلطة الفرنسية واسمه مصطفى بالمه ، ذكر له فى هذا التقرير : « والغالب ان كل ما دفعته (الاعراش جملة من حكر وعشر نحو الخمسة وسبعين ألف (فرنك) مـن غـير الزكات ... واما جملـة مـا سلكتـه (قبضته) زكات نحو الأربعين الافرنكية وستمائة فرنك) » .

ويفهم من هذا التقرير وتقارير أخـرى ان الفـلاح الجزائرى كان يدفع على الجابدة الواحدة (زويجة) 53 ونصف فرنك وصوردين اذ ذكر حرفيا : « وخبرتك بأن دفعهم لم يكن كيف بعضهم وانهم مختلفين على حسب ما رتبوه أهـل

الدولة فيهم من يدفع لكل جابدة ثلاثة وخمسين (53) فرنك ونصف ، وزوج صوردى (حسب الاعتقاد ان الصوردى = 1/10 فرنك) وفيهم من يدفع على كل جابدة ستة وعشرين ريالا فرنكية ، وهذا بيان دفعهم » .

وكانت بقية المناطق بزواغة وبفرجيوة تدفـــع بنفس القوة من الضعف ، ويتأكد هذا أيضا من تقريـر خليفـة فرجيوة السيد أحمد خوجة بن عاشور الى أحد رجال السلطة الفرنسية ردا على طلب هذا الاخير الداعي الى حصر المردود الفلاحي وتدوينه ؛ حيث يفهم ان أقليم فرجيوة كان يتشكل من بني مسعد ، بني ياجيس ، جيملة ، أولاد عامـر ، بني مجالـد ، عربـاون ، المزليـة ، زارزة والـوادى الكبـير ؛ اذ قال السيد أحمـد خوجـة في تقريره هـذا (بتاريـخ 24 أفريل 1864 م) : « بلغنى جوابك الاعز متضمن فيه بأن نخبرك بمغرم الاعراش الداخلة تحت عرش فرجيوة ونفصل ما دفع كل عرش في السنة الماضية (1863 م) ، من حكر وعشر على كل جابدة . نعم سيدى أما عرش فرجيوة عدد جملـــة أربعمائة وخمسة وأربعون ونصف جابدة (445 ونصف) من العدد المزبور (المذكور) ثلاثة وخمسون جابدة ونصف جابدة دفعوا على كل جابدة ثلاثة وخمسون ريالا فرنكيـة وزوج صوالد ، والباقي دفع العشور تسعة وعشرون فرنكية ونصف فرنك ، اما عرش بني مسعد عدده 148 جابدة .

عرش جيملة عدد 144 جابدة .

عرش بني ياجيس عدد 163 جابدة .

هؤلاء الاعراش الثلاثة دفعوا ما رتبوا عليهم الحكام على كل جابدة ستة وعشرون ريالا فرنكية واثني عشر صوالد . وعرش أولاد عامر عدد 133 جابدة سوى ستة جوابد دفعوا العشور والباقي دفع المطلب (الحكر) وعرش بني مجالد عدد 300 ونصف جابدة من العدد المزبور (المذكور) خمسون (50) جابدة التي تدفع العشور والباقي دفع المطلب . ومطلب هذا العرشين على كل جابدة أربعون ريالا فرنكية وستة صوالد ، وعرش عرباون 113 ونصف جابدة منها ستة وستون جابدة دفعت العشر والباقي دفعت الحكر وعرش المزلية عدد 152 جابدة منها مائة واحدى عشر جابدة دفعت العشور والباقي دفع الحكر، وعرش زارزة عدد 178 جابدة ، منها ثمانية جوابد دفعوا العشور والباقي دفع الحكر ، وعرش الوادى الكبير عدد 328 ونصف جابدة منها مائة وتسعة وخمسون جابدة دفعت العشور والباقي دفع الحكر . الى آخر التقرير ...

وتفهم من هذا التقرير الصورة الملخصة التالية :

المنطقة	مجموع الجوابد	الدفع	
		الحكر	العشور
فرجيوة	445 ونصف ج	253 ونصف ج × 53 ريال	192 ج × 29 ونصف ف
بني مسعد	148 ج	148 × 26 ر	
جيملة	144 ج	144 × 26 ر	
بني باجيس	163 ج	163 × 26 ر	
أولاد عامر	133 ج	127 × 40 ف	6 جوابد
بني مجالد	300 ونصف ج	250 × 40 ف	50 جابدة
عرباون	113 ونصف ج	47و ن × 53ف	66 جابدة
المزلية	152 ج	31 × 53 ف	121 جابدة
زارزة	178 ج	170 × 53 ف	8 جوابد
الوادى الكبير	328 ونصف ج	169 × 53 ف	159 جابدة

وان مجموع الجوابد 2109 ، دفعت العشور منها 792 جابدة بجانب الزكاة المقدرة 4352 فرنك (52) .

كما أنه تفهم من تقارير أخرى أن مناطق أخرى قد دفعت بنفس الصورة الى الخزينة الفرنسية منها التقرير الذى قدمه أحمد بن الدراجي بن عاشور خليفة على البابور بتاريخ 3 ماى 1864 م ، الذى يوضح فيه أن مجموع ما دفعه سكان هذه المنطقة 75 ألف فرنك حكرا وعشرا بجانب الزكاة التى قدرت بـ 40 ألف فرنك (53) .

مما تقدم يتضح أن الجزائرى وبخاصة الفلاح منه كان محل امتصاص دائم من طرف الارستقراطية الجزائرية

(مثلما سبق الحديث عنه في الجانب الاجتماعى) ويذكر من الارستقراطيين الاقطاعيين لهذه المنطقة أسرة بن عاشــور وهو مما يؤكده قائد فرجيوة في تقريره المذكور : « منهــا (الارض) ما هو مملوك لاولاد عاشور يحرثون فيه بأنفسهم والذى يحرثون فيه غيرهم دفع الحارثــون عشرة دوريـــة لارباب الملك والعشر للبيلك وكل واحد من الحراثين منسوب حرثه في ملك رب الارض كما هو مرسوم في دفتر البيلك»، هذا من جهة . وكذلك كان محل امتصاص من طرف السلطة الفرنسية، من جهة ثانية- وعرضة لجشع واغتصاب المعمرين الأوروبيين، من جهة ثالثة- بجانب هذا الامتصاص قد تلقى الشيء الكثير من الاهانات في كرامته ، الأمر الذى حدا به الى الثورة دفاعا على حرمة الدين وعزة النفس وصيانة الارض حيث ثار سكان فرجيوة مثلا وبالخصوص في زغاية . ويفهم من الوثائق التى بين أيدينا أن الاعداد لهــذه الثــورة كان واسعا وعلى الصورة التالية :

انه شارك في هذا الهجوم على برج زغاية أكثر من طرف: وقد حاولنا حصر الجهـــات والاشخاص المشاركين في هــذا الهجوم ، فتوصل بنا الحصر الى الجدول التالى :

اهم الاسماء والجهات المشاركة فى الهجوم على زغاية

الاســم واللقــب	الجهــــة
ـ عمار بن الجودى الميلى	ـ زغاية ـ ميلة ـ الميلية ·
ـ بوفاس ـ الشيخ يوسف ابن رميتة ·	ـ أولاد عسكر ـ فرقة قاع الزاب ـ بنى فتح ·
ـ الحاج بن عز الدين قائد بنى يدر ·	ـ بنى يدر ـ بنى خطاب ـ (اولاد رابح) ·
ـ الاخوان صالح وابراهيم ابناء على بوطفان ·	ـ بنى تليلان ـ هبابشة ·
ـ سى المكى بن بوعكاز	ـ أولاد ابراهيم ـ مسيدة ـ أولاد مسعود ·
ـ بونعاس قائد أولاد كباب	
ـ بالقاسم بن سى محمد بن شوية	ـ عرش اولاد عامر
ـ المسعود بن سليمان	ـ أولاد حاية ـ جيملة ـ البهلول
	ـ الزاوية الحنصالية بميلة
ـ سى الحواس مقدم الزاوية	الزاوية الرحمانية بميلة

اهم الاسماء والجهات المشاركة فى الهجوم على زغاية

الاســم واللقــب	الجهـــــة
ـ ابن مولاى محمد واخوه	
ـ محمد بن الحسين	
ـ الحاج حجوج وخديمــه عمــار ابن حمانى	
ـ عمار بن الكاهية بميلة	
ـ الكاهية بن شعبان	
ـبولخراص بن عــز الدين قائــد مويــه	
ـ عبود بورنان	
ـ الشيخ بوعكاز بن عــز الدين وخديمه	
ـ الاخضر بن الدريدى بميلة	
ـ سى محمد بوصوف بميلة	
ـ لعور بن الزادرى	
ـ بوغمــدان	
ـ أولاد بن عز الديــن المتواجدين بتونس	
ـ بونعاس قائد اولاد كباب	
ـ احمد بن العربى الفتح	
ـ الحاج حمو بن العطار	
ـ الطيب بــن النصراوى وكيــل ابن عز الدين	

اتفقت هذه الاطراف على ضرورة محاربة التواجد الفرنسي باعاز من ابن مولاى محمد مقدم الاخوان ، ويفهم هذا من رسالة حمو بن على قائد زواغة والتي ذكر فيها : « والذى نخبرك به فأنه لما حضرنا بوفاس العسكرتني المسجون هنا والماضر في الدعوى وبحتته على سبب القضية كما وقعت ، وانه قال سببها ابن مولاى محمد هو الذى تلف (اتفق) مع الاعراش واخبرهم بالفساد ، منذ أيام كانوا البعض أتوا لداره واخبرهم بذلك ، والبعض لما ذهب فى السابق يطلب الزيت أمرهم بالفساد فى برج زغاية قال لهم انه أتاه خديم سى الحاج حجوج الكاين بميلة وقال له اذا غزيت على برج زغاية وتكلم البارود فيه يكون النصر وتنهزم مجامع الحكام كلها راه زغاية هى التى برجها مثقف (محكم) الدعاوى كلها (54) .

وسبق لابن مولاى محمد ان تجول فى مناطق كثيرة يحرض الاعراش ووجهاء القوم على القيام بهذا الهجوم ، يتأكد هذا من أحد التقارير لاحد المتعاملين مع السلطة الفرنسية واسمه مصطفى بن سى حمودة شيخ المدرسة بميلة ، حيث قال : « سيدى نخبرك ان شاء الله ان مولاى محمد أتى الى ميلة يوم ١١ مارس يوم الجمعة ... وكثرت جلوسه فى الزاوية متاع حنصالة والزاوية متاع سى الحواس مقدم بن عبد الرحمن مع المقدم والاخوان ... » (55)

ويفهم من رسالة أخرى لحمو بن على قائد زواغة ان كثيرا من الاعراش كانت متحدة مع سكان زواغة ، وذلك بتحريض من المقدم مولاى محمد ، وان الهجوم على زغاية كان بداية لتوسيع المقاومة الى نواحى أخرى اذ قال : « ان القبائل قد هجموا على البرج وغزو عليه وكسروا أبوابه وكسروا جميع ما فيه واخذوا جميع القش الذى داخله وحرقوا الديار متاعى فقط ، فلما استخبرت عن ذلك فوجدت القبائل كلهم متفقين ومعهم ناس زواغة ، وكذلك رجال مقدم متاع الاخوان ذهب لجميع الجبال وحرضهم عن ذلك واتفقوا كلهم على ذلك واسم المقدم مولاى محمد ، وذكروا انهم يريدون أن يقدموا الى القائد بن امنيع ويغزوا عليه ، ومن هناك يقدموا الى الميلية » (56) .

ويفهم من بعض الوثائق ان لأولاد ابن عز الدين المتواجدين بتونس (مهاجرين) دورا هاما فى هذه الاحداث المتعلقة بالثورة ، من ذلك ما أكده حمو قائد الزواغة من أن رسائل تتعلق بهذا الحدث قد وزعت من تونس اذ قال : فالذى نخبرك به وان المسعود بن سليمان هو الذى فرق الجوابات على الاعراش وتلك الجوابات أتوه من تونس من عند أولاد ابن عز الدين الكاينين هناك (57) .

وقال فى موضع آخر : « وأيضا سمعت خبر من بعض الناس صباح يوم الاحد يقول وأن بن مولاى محمد لما تكلم مع الاعراش على فساد البرج أتاهم بأجوبة مكتوبة بخط

أولاد بن عز الدين هـم هنـا والكاينين بتونس وقرأ عـلى الاعراش الاجوبة وقال لهـم يامركم بفساد البرج وأهلـه ، وعنيكم النصر » (58) .

والذى تؤكده الوثائق أن مولاى محمـد حرض الاعراش على الثورة بعد أن تأكدت له حظوظ فى النجاح ؛ خاصة بعد أن ضمن أكثر من مساندة خاصة من مساندة الشيخ بوعكاز ، الذى تكفل بتمويل الحملـة بالرجال والبارود والرصاص ، ويتأكد هذا من رسالة حمو قائـد زواغة الذى قال : « وكما أن بن مولاى محمد تكلم مـع كل واحد وسمع منـه بوفاس المذكور قال لهـم ان الشيخ بوعكاز وعدنى باعانة البارود والرصاص ، وان بولخراص بن عز الدين وأخيـه قايد بنى يدر اذا غزينا على البرج أولاد بن عـز الدين يفزعوا معنا والحاج بوجمعة (؟) وهو بوعكاز ووعدنى وعاهدنى بدفـع البارود والرصاص وهو يقيم الاعراش عليكم بالقيام لبرج زغاية هذا الذى تكلم به بوفاس (59) .

وعـن قضية الذخيرة الحربية فالوثائق تؤكـد أن كميات هائلة كانت بحوزة الشيوخ بهذه المنطقة ، من ذلك ان قائد فرجيوة أحمد خوجة بن عاشور أجرى احصاء بناء على طلب رجال السلطة الفرنسية ، وقد تبين من هذا الاحصاء ان قائمة عريضة من الاسماء كانت تملك كميات هائلة من الاسلحـة والذخيرة المصنوعة بالجزائر والمستوردة من المشرق » (60) .

وتتأكد وجود بعض الكميات من خلال رسالة أحمد خوجة خليفة فرجيوة بتاريخ 27 افريل 1864 ، فعنـد الشيـخ سى السعيد بن الفاسى سبعة ارطال بارود وأربعة مكاحل (بنادق)، وخليل بن الفاسى 1 رطل بارود و 40 حجرة و 191 رصاصة . محمد بن منـاح خمس مكاحل ، سى الطاهر بن الساحلى ثلاث مكاحـل ، وللشيخ بوعكاز عـدد مـن المكاحـل والمسدسات والسكاكين جاء بها من مكة (61) .

وقد استعد السكان استعدادا كبيرا وأقاموا احتياطات ، من ذلك أن بعض الاسر قد تحصنت بمناطق بعيدة عن برج زغاية ، ومنهم أولاد بن عـز الدين الذين أرسلوا متاعهـم وأفراد أسرهم بعيدا ، وهو ما يؤكده حمـو بن على : « وان أولاد بن عز الدين رسلوا قشهم الى ولجت بوخليف بولخراص وأخيه قائـد بني يدر رسلوا صنادقهم وقشهـم الى ولجـت بوخليف يرجون فى كلام بن مولاى محمد » (62) .

وبعدها تجمعت أعراش كثيرة يوم الخميس 17 مارس 1864 حيث أقاموا زردة بركـة وتبركا ، وأثناءها حددوا ساعـة الهجوم ، اذ يقول حمـو فى نفس الرسالـة : « وبولخراص المذكور جمل زردة يوم الخميس السابع عشر من شهر التاريخ واجتمعت عنده الناس ، وصباح يـوم الجمعة غزوا اصحاب الفساد على البرج وارسل الى عبود بورنان ذهب اليه يـوم الذى جمل فيه الزردة » .

مما تقدم يتضح وأن الهجوم اتخذ من الزاوية رباطا ، وقد خطط له مسبقا . وأن الهدف من هذا الهجوم بل من هذه الثورة هو القضاء التام على الوجود الفرنسي والموالين لـه . وقد أختير برج زغاية لانه كان يمثل فى نظر السكان موطن القوة الفرنسية بهذه الناحية (63) .

نتائج هذه الثورة :

تولدت نتائج كثيرة ، وعـلى مستويات متعـددة ، حيث اثارت ردود فعل قوية ، من هذه الردود نذكر موقف السلطة الفرنسية :

تلقى رجال السلطة هذا الحدث بذهول ، فما كان منهم الا ان قاموا باجراءات واسعة ، بأن أرسلوا الى جميع الجهات ، وخاصة منها الموالية للفرنسيين قصد القاء القبض على كـل مشارك فى هذا الهجوم ، وكذلك تكليف الجهات المسؤولة على القيام باحصاء لعدد الاسلحة وللكميات من الذخيرة ، ولمعرفة اصحابها ، وتشديد الرقابة ، مع التشديد فى فرض الضرائب وتنـويعها ، وأصدرت السلطة الفرنسية قـوانين لتنظيـم أمورها بالجزائر ، من تلك القوانين المتعلقة بنظام الارض فى ديسمبر 1864 ، والذى حـدد الامبراطور بمقتضاه اسعـار البيع ، وقـد دخل حيـز التطبيق منـذ سنة 1866 حيث بيع الهكتار الواحـد فى سطيف بـ 52 فرنك ، ثـم أعيد بيعـه بالمزايدة العلنية فـوصل الى 312 فرنك ، وفى سانت أرنـو

(العلمة) بـ 22 فرنك، ارتفع بالمزايدة الى 115 فرنك، وفي سيدى طامطام (عنابة) بـ 13 فرنك ارتفع الى 82 فرنك (64)

وعموما ارتفعت الاسعار وكثرت الامراض والمجاعات من ذلك ان الاسعار الخاصة بالحبوب وصلت : (65)

	صاع قمح	صاع شعير
سنة 1864	13،30 فرنك	5 فرنك
1865	17،15 ف	6،45 ف
1866	27 ف	13،20 ف

ومن جهة أخرى حصلت الشركة الجزائرية العامة سنة 1865 على مساحة 89500 هـ بمقاطعة قسنطينة .

من النتائج أيضا ان ضمت كل من زواغة وفرجيوة الى حضيرة الحكم العسكرى المباشر ، والقى القبض على كثير من الشيوخ منهم مولاى محمد مقدم الاخوان وأخوه الحسين ، وقائد بني يدر الحاج بن عز الدين ، وأفراد أسرة بوعكاز ، يقول أحمد خوجة خليفة فرجيوة في رسالة له بتاريخ 14 افريل 1864 الى مصطفى باله : « السيد الجنرال بأن نرحل حاج المكى ولد الشيخ بوعكاز وأهله من البرج الى قسنطينة بأننى رحلته يوم الخميس الرابع عشر من التاريخ ، ورفع أهله وقشه على خمسة وتسعين زايلة ... وبقى البعض من قش الشيخ بوعكاز بالبرج قدر ما ترفعه ستون زايلة والا

سبعون زايلـة » (66) . وحسبما تقـول بعض المصـادر أن بوعكاز نفى الى فرنسا (بايون) فى أوت 1864 (67) واتهمت السلطة الفرنسية من جهة أخرى أسرة المقرانى على انها كانت وراء هذا الحدث برفقة أسرة بن عز الدين .

وكاجراء شجعت فرنسا التجنيس سنة 1865 الا ان الجزائريين رفضوا هذا اللون من السياسة ، اذ انه لم يجنس من الصف الجزائرى الا حوالى 371 مـا بين 1865 ــ 1875 مقابل 843 مـن الاسرائليين .

ومن نتائج هذا الهجوم ان اتسعت الثورة لتمتد الى جهات أخرى من الوطن ، ففى هذه الناحية ثار أولاد بنى عز الدين فى جويلية ــ أوت 1864 ، وأولاد بوعكاز سبتمبر ــ نوفمبر 1864 بجانب الثورات الاخرى (68) . وأن الخسائر كانت مادية اذ أن السلطة الفرنسية قدرتها بحوالى 300 ألف فرنك (69) .

ويفهم من التقارير الفرنسية ان حملات تمشيط واسعة قامت ضـد سكان المنطقة قدرت قوتها بـ 20 ألف محارب ، حيث القى القبض على الميئات من الرجال والنساء والاولاد بجانب ما حرق من أراضى ، وما تم من الاستيلاء على حوالى 500 رأس بقـر و 4000 رأس غنـم و 9200 رأس عنـز و 400 حصان (70) .

ومـن بـاب التقييم فقـد ارجـع الدارسون الاوربيون وآخرهـم الباحثـة رى قولدزيقـر (Rey Goldzeiguer)

فى كتابها (المملكة العربية) اذ ارجعت سبب هذه الثورة الى دافع الحفاظ على الارض ، هذا صحيح الى حد ، لكن تحرك الجزائريين كان أيضا بـدافع المقومات الاساسية لشخصيتهم العربية الاسلامية ، اذ كانت الثورات موجهة ضد « الكافر » .

الخـــلاصـــة :

مما تقدم نخلص الى القول وأن أكثر من ضرورة تدفعنا الى غربلة تاريخنا بمنظـور وطني ، لان التاريخ فى نظرى مادة توجيهية سياسية أكثر مما هى شىء آخر . لان الاهمال لهذا الجانب عقب الاستقلال أدى الى فراغ روحى انعكست آثاره على جزء من أبناء هذه الأمة ؛ ممن تعرضوا للاستيلاب الثقافى خلال ليل الاستعمار الطويل .

وأن سكان الشرق الجزائرى كانوا يتشكلون مـن مجتمع المدينة ومجتمع الريف، أى سكان الحضر والسهول، يعيشون على شكل هرم اجتماعى متباين، على رأس هذا الهرم الأرستقراطية الاقطاعية ، المتكونة من العثمانيين ورجال المخزن والشيوخ والمرابطين . وطبقة الرعية المتشكلة من العامة .

وكان المجتمع الجزائرى هـو الذى تحمل أعبـاء انتشار الثقافة . ومصاعب المقاومة السياسية لأن النظام العثمانى . كان يقوم أساسا على ثلاث مقومات : حفظ الامـن ـ حماية الحدود وجباية الضرائب .

ولما حاول النظام الفرنسي بوسائله المتعددة ، أن يذيب مقومات الشخصية للشعب الجزائرى ، بأن عمل على احلال الثقافة الفرنسية محل الثقافة العربية الاسلامية ، رفض الجزائريون التعامل مع هذا الواقع الجديد .

ومن جهة أخرى حاولت السلطة الفرنسية أن تحتل كل الشرق الجزائرى باعتباره أحد المصادر الكبيرة للثورة ، من جهة . ومن أهم النقاط الاستراتيجية من جهة أخرى . فكانت الحملات الواسعة التى تولدت عنها ردود فعل وطنية انعكست فى ثورات ضد التواجد الفرنسي بنوعيه العسكرى والمدنى . اذ شهد الشرق الجزائرى أكثر من ثورة منها ثورة زغاية 1864 ، والتى شاركت فيها أطراف جزائرية بمختلف مستوياتها الاجتماعية والاقتصادية والتى تصدت لها القوة الفرنسية بشتى الوسائل عسكرية عن طريق الحملات الواسعة ، ومدنية عن طريق الهجرة الاوربية واغتصاب الاراضى .

حــواشي ومصــادر

(1) Valet R. : L'Afrique du Nord le Parlement au XIXᵉ siècle. C. Champion, Paris 1924, p. 43-58.

2 ـ للمزيد من المعلومات انظر : محمد بن عبد الرحمن مرحبا ، اصالـة الفكر العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط 2 ، الجزائر 1983 ·

3 ـ حمدان بن عثمان خوجة (1773 ـ 1840) ولد ونشأ بالجزائر العاصمة من أسرة جزائرية (خاصة عــن طريق الام) · تلقــى تعليمه الاول بالجزائر ، ثم بخارج الجزائر خاصة عن طريق الرحلات الى بلاد كثيرة · له مؤلفات تناولت الوانا فكرية مختلفة ·

4 ـ نذهب الى الاعتقاد ان حمدان خوجة لم يقل هذا عن جهل ، انما عــن قصد ، وانــه اعتمد هذه المبالغة حتى يضفي هيبــة وقــوة للصف الجزائري ، وحتى يدفع الراي العام الفرنسي ـ الرسمي والشعبي ـ الى التخلي عن احتلال أرض ، يعيش عــلى اديمها عشرة آلاف مواطــن ·

انظر كتابه : le Miroir, p. 320

(5) Temimi A. : Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey. P.S.T.G., Tunis 1978. p. 65-57.

6 ـ نفس المصدر ·

(7) Yacono Xavier : in R.A., 1954, 3ᵉ et 4ᵉ trimestre, p. 277-307.

(8) Yacono Xavier : « La Régence d'Alger en 1830 ». in R.O.M.M. n° 2, Aix, p. 247.

9 ـ زار قسنطينة قصد التحري في ادعاءات باي تونس القائلة ان بــاي قسنطينة ينوي الانفصال عن السلطنة العثمانية ·

10 ـ تقرير كامل باى الى السلطان باللغة التركية بتاريخ 25 صفر 1251 هـ (جوان 1836) ، نقلا عن (Temimi A. :Le Beylik de Constantine, p. 57)

11 ـ نقلا عن Temimi A. : Le Beylik de Constantine, p. 57.

(12) Rozet (M.P.) : Alger, 2e édition, Bouslama, Tunis 1980, p. 19.

13 ـ توجد تقارير كثيرة بأرشيف وزارة الحربية فانسان (AMG) H 228

(14) Pelissier (R.) : Les Annales Algériennes, t. 1, Paris 1854, p. 288-289.

15) Temimi A. : Le Beylik de Constantine, p. 58.

16 ـ ونعتقد ان برج زغاية الذى سيأتى الحديث عنه ، من ضمن الابراج التى اقيمت فى هذا العهد .

17 ـ قسم الدارسون الفرنسيون ارض الجزائر الى خمسة انواع اواخر العهد العثمانى هى : ارض الملك الخاص ، العرش ، المخزن ، الصحراء والبايلك . للمزيد انظر :

Elmie Larcher : Législation Algérienne, t. 3. Rousseau, Strasbourg 1923, p. 7-22.

18 ـ يذهب الكثير من الدارسين الى تسمية بعض « الاقاليم » بالاوطان .. مثلما هو الشأن الذى قال به الاستاذ سعد الله حيث قال : واهم هذه الاوطان : وطن بنى خليل .. وطن بنى موسى .. الخ . محاضرات فى تاريخ الجزائر الحديث (بداية احتلال) ط 2 ، معهد البحوث والدراسات العربية 1976 ، ص 71 .

19 ـ الفصل الخامس من اطروحته التى نال بها درجة الدكتوراه ، (لم تطبع) . والعيد مسعود استاذ يحاضر بجامعة قسنطينة ، معهد العلوم الاجتماعية .

20 ـ التويزة هى عمل تطوعى جماعى يكون اثناء الزراعة والحصاد او الدرس .

21 ـ من اطروحته السالفة الذكر .

(22) Annie Rey Goldzeiguer : Le Royaume Arabe, SNED, Alger 1977, p. 408

(23) Hamdan : Le Miroir, t. 1, Goerschy, Paris 1833, chapitre 3.

24 ـ من اطروحته السالفة الذكر ٠

(25) Marcel Emérit : Mémoires d'Ahmed Bey, in R.A. 1949, p. 88.

26 ـ تنشر الاسواق طيلة ايام الاسبوع عبر أنحاء الوطن ، مثلا بالشرق سوق تلاغمة ، اولاد عبد النور ، سوق ثلاثاء بني سحق ، سوق العثمانية ، سوق الحراكتة ٠

27 ـ محمد العربي الزبيري ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري ، ش ٠ و ن ت ، الجزائر 1972 ، ص 67 ٠

28 ـ الكراغلة هم الابناء اصلا من اباء اتراك وامهات جزائريات ، وقد قام هؤلاء برد فعل تمثل في محاولة انقلاب قصد الاستيلاء على السلطة ، الا انهم فشلوا ؛ للمزيد ، انظر :

Hamdan Khodja : Le Miroir. livre 1, chapitre 12

29 ـ يلقب الداي محمد بالمجاهد ، دام حكمه مدة ربع قرن ابتداء من سنة 1766 ، عين صالح باي على قسنطينة سنة 1772 ، ومحمد الكبير باي على وهران سنة 1780 ٠

30 ـ للمزيد من المعلومات راجع : أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ، ش و ن ت ، الجزائر 1979 ، ص 37 ٠

(31) Hamdan : Le Miroir, p. 73.

32 ـ انظر فيلهلم شيمبر (1804 ـ 1878) هو عالم نبات زار الجزائر سنة 1831 ، راجع هذا في ترجمة ابي العيد دودو في كتاب لعدة مؤلفين المان (1830 ـ 1855) ش و ن ت الجزائر 1975 ، ص 13 ٠

33 ـ للمزيد من المعلومات راجع :

Yvonne Turin : Affrontements Culturels dans l'Algérie Coloniale, ENAL 1983, p. 40-47.

34 ـ مجلة الثقافة ، وزارة الثقافة والسياحة ، العدد 79 ، ص 56 ·

35 ـ اذ ان الحملة الفرنسية تمكنت من احتلال العاصمة خلال ايام قليلة صارت العاصمة بما فيها من خيرات بيد السلطة الفرنسية ، حيث ان الداى حسين لجا الى نابلى برفقة حاشيته ·

36 ـ لوتسكى ، تاريخ الاقطار العربية الحديث ، ط 7 ، دار الفرابى ، بيروت 1980 ، ص 205 ·

(37) Serres J. : La politique turc en Afrique du Nord sous la monarchie de Juillet, Paris, 1925, p. 61-62.

38 ـ انظر Esquer Gabriel, Corresp. du duc de Rovigo, t. 2, Alger 1920, p. 323.
حكم دو روفيكو الجزائر (1831 ـ 1833) حيث تصرف كالمسيحى المتعصب ، اباد قبيلة العوفية وحول المساجد الى كنائس بحجة : لا خطر من هذا ما دام الله واحدا عند المسيحى والمسلم ·

39 ـ نفس المصدر ، ص 195 ـ 196 ·

(40) Julien Ch. A. : Histoire de l'Algérie contemporaine, P.U.F. 1964, p. 146.

41 ـ بعد نجاح (ثورة) انتفاضة باريس 1830 ظهرت ثلاثة تيارات (جمهورى ـ الملكى المتطرف ـ الملكى الدستورى) وقد استغلت هذه الاتجاهات الثلاثة عامل الاحتلال ووظفته كوسيلة ضغط ضد حكومه لويس فيليب ، وانتهى الامر باطاحة هذا النظام سنة 1848 ·
ولكن لا يعنى هذا ان المؤيدين للحملة والاحتلال الفرنسى لم يكونوا شديدى القوة ، ويتضح هذا من خلال قراءة العشرات من الآثار التى تركها اصحابها ، منها : كوريش (Corrèche) الذى قدم آراءه فى كتاب Désastre de Constantine, Sentu, Paris 1837. فبعد أن قارن فيه فشل القوات الفرنسية على اسوار قسنطينة خلال الحملة الاولى ، بفشل نابليون بونابرت فى اسبانيا . بعدها دعا الى ضرورة احتلال الجزائر

واستثمار خيراتها باحدى الطرق وهى ملخصة كالآتى :

1 النظام الاقتصادى Système économique dit antagonisme الـذى يعنى قتل الغير من اجل سعادة الآخرين

2 النظام التشاركى Système dit communautaire

3 النظام الاجتماعى Système social الذى يعنى ان ندمج كافة التشكيلات الاجتماعية الجزائرية بكل مكوناتها فى حضارة اكثـر تطورا . وبعد العرض والتحليل خلص الى نتيجة وهى على فرنسا ان تعمل بالنظام الثالث الذى هو اكثر فائدة واقل خسارة .

وصاحب الراى المؤيد الثانى بول ايمانويل (Paul Emmanuel) الذى قدم مجموعة من الآراء فى كتاب بعنوان Alger et le Conseil Général du Var, Henry, Paris 1838. والذى قال فيه ان فى حالة ما اذا تم جلاء فرنسا من الجزائر فان قوة اوربية اخرى ستحل محلها وقد شاركهما الراى الكثير من الفرنسيين .

(42) Edouard Solal : Philippeville et sa région (1837-1870). Alger, p. 36.

43 ـ نفس المرجع نفس الصفحة . انظر كذلك Rey Goldzeiguer المرجع السابق ، ص : 378 ـ 419 ، حيث يفهم ان للمناجم أيضا قوة جذب للراسمال الاجنبى . ففى العلاليق بضواحى عنابة وعين أم الرخاء كان الدومين قد استخرج سنة 1864 حوالى 31000 طن من الحديد ، بالاضافة الى الغابات اذ كانت المنطقة الممتدة من عزابة الى سكيكدة تشكل نسبة 85 ٪ من المساحة الغابية .

(44) Edouard Solal, p. 36.

45 ـ نفس المرجع ، ص 40 .

46 ـ انظر Julien المرجع السابق . ص 234 ـ 248 .

47 ـ حتى الى احصاء سنة 1866 من تقارير قيادة الاركان العامة سنة 1869 A.M.G. H 238

48 ـ (Julien) المرجع السابق ، ص 256 ٠

(49) Ahmed N. : in Revue Algérienne des Sciences. j. e. et p. Les ordres religieux et la conquête française. vol. 1, n° 4, décembre 1972, p. 814-872.

50 ـ لمعرفة شيء عن هذه الشركة راجع :

Campagne Génevoise. Rombote et Schuchard. Genève 1863. •

وقال جوليان (Julien) المرجع السابق ان هذه الشركة قد منحت مساحة 181 الف هكتار ، ص ص : 403 ـ 408 ـ 436 ـ 438 ٠

51 ـ مراسلة الامبراطور بالعربية ، ارشيف الوزارة الاولى التونسية ، 384 bis Cart. 223 •

52 ـ رسالة احمد خوجة بن عاشور خليفة فرجيوة ، بتاريخ 24 افريل 1864 ارشيف اكس اون ـ بروفنس 2 H 27 ، انظر ملحق رقم 1 ٠

53 ـ ارشيف ما وراء البحر ، اكس اون بروفنس 2 H 27 انظر ملحق رقم 2 ٠

54 ـ رسالة حسو بتاريخ 20 مارس 1820 ٠ ارشيف اكس 2 H 27 انظر ملحق رقم 3 ٠

55 ـ رسالة مصطفى الى حسو قائد زواغة بتاريخ 23 مارس 1864 ، اكس 2 H 27 انظر ملحق رقم 4 ٠

56 ـ الرسالة الى والده بتاريخ 18 مارس 1864 ، نفس المصدر ، انظر ملحق رقم 5 ٠

57 ـ رسالة بدون تاريخ الى قائد الصبايحية . نفس المصدر ، ملحق رقم 6

58 ـ نفس الملحق رقم 3 ٠

59 ـ نفس المصدر ، نفس الملحق ·

60 ـ مثلا في رسالتيه بتاريخ 12 ماي ، 22 ماي 1864 ، أكس 2 H 27

61 ـ نفس المصدر ·

62 ـ نفس الملحق ، رقم 3 ·

63 ـ ذكر حمو بن علي قائد زواغة ، ان ابن مولاى ارسل المرابط مقران من الصفيصفة يحمل سبحة حيث جمع له شيوخ القبائل . وذبح لهم وتدارسوا معا كيفية الهجوم ، تاريخ الرسالة في مارس 1864 اكس 2 H 27 · كما ان ابن مولاى طلب من سكان اولاد عسكر واراس بني عيشة ، بني فتح ، بني حبيبي ، بني خطاب ان يهجموا على البرج فهجموا · انظر ملحق رقم 7 ·

64 ـ أكس OL. C. 5611

(65) Noushi A. : Enquête sur le niveau de vie des population rurale constantinoises. Paris 1961, p. 325.

66 ـ رسالة احمد خوجة بتاريخ 14 افريل 1864 ، أكس 2 H 27 ملحق رقم 8 ·

67 ـ انظر Rey Goldzeiguer المرجع السابق ، ص 316 ·

68 ـ من ذلك ان احمد خوجة خليفة فرجيوة يذكر ان رجلا مفسدا من اولاد سي مسعود ·· (كان) يدور ·· على بعض الناس (يحرضهم على الثورة) · انظر ملحق رقم 9 ، أكس 2 H 27

69 ـ قال حمو بن علي : قد هجموا على البرج وغزوا عليه وكسروا أبوابه وكسروا جميع ما فيه واخذوا جميع القش الذى داخله وحرقوا الديار ·· انظر ملحق رقم 3 ·

70 ـ ارشيف اكس اون بروفنس · G. 11 H 23

وثـــائق

DÉPARTEMENT
DE CONSTANTINE

KALIFA DE FERDJIOUA

عمالة قسنطينة

خليفة فرجيوة

في شوال عام ١٢٨١   ١٨٦٤

الحمد لله وحده

إلى [illegible] حضرة المعظم الارفع الاعلم الانفع سعادة السيد الجنرال
[illegible] بالعز امنه الله عليك السلام التام مدى الليالي والايام وبعد سيدي بلغني
جوابك الاعز تخبرني فيه بان نخبرك بقدر الاعشار الداخلة تحت عرش فرجيوة وبعد
نعلمك ما ادفع كل عرش في السنة الماضية من حكر وعشور على كل جابدة نعلمك سيدي
اما عرش فرجيوة عدة [illegible] جابدة جملة اربعماية وخمسة واربعون جابدة ونصف
جابدة من الفدا العزيبو ثلاثة وخمسون جابدة ونصف جابدة ما يكون على كل جابدة
ثلاثة وخمسون ريالا فرنكية وزوج صوالد والباقي للعشور تسعة وعشرون
فرنكية ونصف فرنك اما عرش بني صالح عدة [illegible] جابدة وعرش جيملة
عدة [illegible] جابدة وعرش بني يا جيس عدة ١٦٣ جابدة هاذه الاعراش الثلا
ثة دفعوا ما رتبوا عليهم الحكام على كل جابدة ستة وعشرون ريالا فرنكية
واثنى عشر صوالد وعرش اولاد عامر عدة [illegible] جابدة سوى ستة جوابد العزل
العشور والباقي للمطلب وعرش بني صبيح عدة [illegible] جابدة من العزل
العزيبو خمسون جابدة التي ترجع للعشور والباقي للمطلب ومطلب
هاذا العرش [illegible] على كل جابدة اربعون ريالا فرنكية وستة صوالد وعرش [illegible]
عدة [illegible] جابدة منها ستة وستون جابدة للعشور والباقي للمطلب
وعرش [illegible] عدة [illegible] جابدة منها ماية واحدى عشر جابدة
للعشور والباقي للمطلب وعرش [illegible] عدة ١٧٩ جابدة
منها ثمانية جوابد للعشور والباقي للمطلب وعرش الوادي الكبير
عدة [illegible] جابدة منها ماية وتسعة وخمسون جابدة للعشور
والباقي للمطلب وهاذه الاعراش الاربعة على كل جابدة ثلاثة وخمسون
فرنكية وزوج صوالد والمطلب الذي للعشور على كل جابدة تسعة
وعشرون فرنكية ونصف فرنك جملة عدة [illegible] احدى وعشرون
ماية وستة جوابد وعدة المطلب الذي للعشور سبعماية واثنين
وتسعون جابدة منها [illegible] مملوك لاولاد عاشور [illegible] فيه
[illegible] والذي [illegible] فيه غيرهم [illegible] عشرة [illegible]
[illegible] وكل واحد من [illegible]
[illegible]
[illegible] والسلام من [illegible]
[illegible] عاشور خليفة فرجيوة وفقه الله الجميع . امين

[illegible]

ملحق ـ 1 ـ ارشيف اكس ون بروفنس
2 H 27

الحمد لله وحده ،

في شهر 24 افريل 1864 م.

اسعد الله حضرة المعظم الارفع الهمام الانفع سعادة السيد الكمانـدة مصطفى بالمه ، امنه الله ، عليك السئال (كذا) التام مرور الليالي والأيـام وبعد سيدي بلغني جوابك الأعز متضمن فيه بأن نخبرك بمغرم الأعراش الداخلة تحت عرش فرجيوة ونفصل ما دفع كل عرش في السنة الماضيـة من حكر وعشور على كل جابدة نعم سيدي اما عرش فرجيوة عدد 445 ونصف جبدة جملة اربعمائة وخمسة واربعون ونصف جابدة من العدد المزبور ثلاثة وخمسون جابدة ونصف جابدة دفعو على كل جابدة ثلاثة وخمسون ريالا فرنكية وزوج صوالد والباقي دفع العشور تسعة وعشرون فرنكية ونصف فرنـك .

اما عرش بني مسعد عدد 148 جابدة .

وعرش جميلة عدد 144 جابدة .

وعرش بني ياجيس عدد 163 جابدة . هؤلاء الأعراش الثلاثة دفعـوا ما رتبوا عليهم الحكام على كل جابدة ستة وعشرون ريالا فرنكية واثني عشر صوالد . وعرش اولاد عامر عدد 133 جابدة سوى ستة جوابد دفعوا العشور والباقي دفع المطلب . وعرش بني مجالد عدد 300 ونصف من العدد المزبور خمسون جابدة التي تدفع العشور والباقي دفع المطلب ومطلب هاذا العرشين على كل جابدة اربعون ريالا فرنكية وستـه صوالـد وعرش عرباون عـدد 113 ونصف جابدة منها سته وستون جابدة دفعت العشور والباقي دفعت الحكر . وعرش المزلية عدد 182 جابدة منها مائة وآحدى عشر جابدة دفعت العشور والباقي دفع الحكر وعرش زلززة عدد 170 جابدة منها ثمانية جوابد دفعوا العشور والباقي دفع الحكر ؛ وعرش الوادي الكبير عدد 228 ونصف

جابدة منها ماية وتسعة وخمسون جابدة دفعت العشور والباقى دفع الحكر ·
وهؤلاء الاعراش الاربعة على كل جابدة ثلاثة وخمسون فرنكيه وزوج
صوالد والجبد الذى دفع العشور على كل جابدة تسعة وعشرون فرنكيه
ونصف فرنك جملة عدد الجبد كله احدى وعشرون ماية وستة جوابد وعدد
الجبد الذى دفع العشور سبعمائة واثنين وتسعون جابدة منها ما هو مملوك
لاولاد عاشور يحرثون فيه بانفسهم والذى يحرثون فيه غيرهم دفعوا
الحارثون عشرة دوريه لارباب الملك والعشور للبايلك وكل واحد من
الحراثين منسوب حرثه فى ملك رب الارض كما هو مرسوم فى دفتر
البايلك ومنها ما هو ملك للمرابطين دفع العشور فقط · والسلام من ابنك
وخديمك سى احمد خوجة بن عاشور خليفة فرجيوة وفق الله الجميع آمين ·

كما أخبرتنى سيدى بأن نفهمك بالقدر الذى دفعته فى زكاة المال فى
السنة الفارطة ، نعم سيدى قدره ثلاثة واربعون الفا وثلاثمائة واثنين
وخمسون فرنكية ليكون امرها فى علمك · اهـ



الحمد لله — وحده

[illegible]

ملحق _ 2 _ أرشيف آكس ون بروفنس

2 H 27

الحمد لله وحده ،

3 في شهر ماي 1864 م .

حضرة الفاضل الاديب العارف اللبيب سعادة السيد الكماندة بالمة السلام الاتم الشامل الاعم عـن مقامكم الاعظم وجنابكم الافخم كيف انـت وكيف احوالك فان كنت بخير فالحمد لله ، وبعد سيدي كنت خبرتنا في السابق على أن نخبرك بما يدفعونه اهل اعراش بابور على كل جابدة مـن حكـر وعشر وزكات (كذا) وذكرت لي بأن نخبرك تفصيلا وكنت اخبرتك بما كان وبما يدفعونه في كل عرش وخبرتك بأن دفعهم لم يكن كبعضهم ، وانهم مختلفين على حسب ما رتبوه اهل الدولة فيهم من يدفع لكل جابدة ثلاثة وخمسين افرنك ونصف وزوج صوردى وفيهم من يدفع على الجابدة حكر او عشر اربعين فرنك وستة صوردى وفيهم من يدفع لكل جابدة ستة وعشرين ريالا فرنكيه ونصف وزوج صوردى وهذا بيان دفعهم وتاتيك جريدة داخل الجواب فيها زمام الجبد الكاين باعراش بابور ليتعين لك كل عرش وما يدفع لكل جابدة وما فيه جبد ليتضح لك ما طلبته منا هذا حسب ما سلكنا عليه في السنة الفارطة وكان بعض الجبد امتاع المرابطين مـن عرش طلحة اخذ منهم الشيخ بوعكاز عشور البايلك فقط وهم داخلين في جريدة الجبد والغالب ان كل ما دفعته جملة من حكر وعشر نحو الخمسة وسبعين الف من غير الزكات واما دفع الزكات على المقابل السماية فانهـم دفعوا على حسب ما رتبوه في الاوراق فعلى كـل راس مـن البقر 3 فرنك ونصف صوردى وعلى كل عشرة من الغنم 36 صوردى ولكل عشرة من المعز 46 صوردى واما جملة ما سلكته زكات نحو الاربعين الف فرنكيه وستماية فرنك وكنت كتبت لك في السابق على هذا النمط لكن لم نبين لك زمام الجبد وحين اتى من عندك سى احمد خوجة اخبرني وقال لي السيد الكماندة

اوصاني وقال لى ان الجواب لم نفهمه ومرادك ان نكتب لك جواب آخـــر فلذلك كتبت لك هذا الجواب وبينت لك فيه كل ما دفعته تفصيلا واجمالا والسلام وكان سى احمد خوجة اخبرنى بالامس ·

ممن كتب عن اذنه خديمكم
احمد بن الدراجى بن عاشور خليفة بابور
وفقه الله ـ آمين



الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد

[illegible]

ملحق ـ 3 ـ ارشيف اكس ون بروفنس

2 H 27

الحمد لله

وصلى الله على سيدنا محمد

اسعد الله احوال الفاضل الاجل الاعز الاكمل ابينا السيد على صانه الله آمين بعد السلام عليك والرحمة والبركة كيف انت وكيف المرضية احوالك فان سالت عنا فنحن بخير من الله وعافيته والذى نخبرك به فانه لما حضرنا بوفاس العسكراتنى (من أولاد عسكر) المسجون هنا الحاضر فى الدعوى (الهجوم على زغاية) وبحثته على سبب القضية كما وقعت وانه قال سببها ابن مولاى محمد صو النى تلف (اتفق) مع الاعراش واخبرهم بالفساد منذوا اياما كانوا البعض أتوا لداره واخبرهم بذلك والبعض لما ذهب فى السابق يطلب الزيت امرهم بالفساد فى برج زغاية قال لهم انه اتاه خديم سى الحاج حجوج الكاين بسيلة وقال له اذا غزيت على برج زغاية وتكلم البارود فيه يكون النصر وتنهزم مجامع الحكام كلها راه زغاية التى برجها منقف الدعاوى كلها اذا فسد البرج وانحاص يكون الفرح هذا قول بوفاس والمحابيس الذين هم معه وكما ان بولخراص بن عز الدين قائد أميه واخيه قائد بنى يدر حضروا فى ذلك لان بن مولاى محمد من تلفتهم من السابق قال لهم انه اخبره خديم سى الحاج حجوج وهو عمار بن حمانى اذا فسد برج زغاية ياتوا اليها اهلها من غير شك بذلك تكلم مع الاعراش واتفقوا على فساد البرج وان اولاد بن عز الدين رسلوا قشهم الى ولجت بوخليف بولخراص واخيه قائد بنى يدر رسلوا صنادقهم وقشهم الى ولجت بوخليف يرجون فى كلام بن مولاى محمد وبولخراص المذكور جعل زردة يوم الخميس السابع عشر من شهر التاريخ (مارس) واجتمعت عنده الناس صباح يوم الجمعة غزوا اصحاب الفساد على البرج وارسل الى عبود بن بورنان ذهب اليه يوم الذى جعل فيه الزردة ، والحاصل فان أولاد

بن عـز الدين المذكورين حاضرين فى الدعوى ولـو كانوا بعيدا وكما أن بن مولاى محمد تكلم مع كل واحد وسمع منه بوفاس المذكور وقال لهم ان الشيخ بوعكاز وعدنى باعانة البارود والرصاص وان بولخراص بن عـز الدين واخيه قائد بنى يدر اذا غزينا على البرج أولاد بن عز الدين يفزعوا معنـا والحاج بوجمعة (؟) وهـو بوعكاز وعدنى وعاهدنى يدفـع البارود والرصاص وهو يقيم الاعراش عليكم بالقيام الى برج زغاية هذا الذى تكلم به بوفاس ٠

هذا جزء من رسالة حم قائد زواغة الى والـده

بتاريخ 20 مارس 1864 م



[illegible]

الحمد لله وحده لا شريك له سبحانه وتعالى

اسعد الله احوال الفاضل العلامة المحترم السيد ... بن ... علي فايد ادام الله
ما نه الله ورعاه امين السلام عليك والرحمة والبركة وبعد السؤال عنكم
سيدي نخبرك خيران شاء الله ان مولاي محمد اتى الى قبيلة بلوم مار بيوم
الجمعة ثلاثة يوم من العيد وراكب على بغل احمر بالسرديه وحين وصل للحمرة
الكاهية بن شعبان خارج قبيلة سبق اليه عمار ولد الكاهية وواحد الرجل
معه وماروا يتكلمان مع بعضهم ولا نعرفوا اش يقولان وحين وصل
الى قبيلة لاقاه عمار خديم سيدي الحاج جموج وربط له البغل عنده ومولاي
محمد جلس تحت العلية متاع سي الحاج المذكور مقابل الطافة وقعد تلك النهار
قبيلة وكثرت جلوسه في الزاوية متاع حنصالة والزاوية متاع سي اللوام
مقدم بن عبد الرحمان مع المقدم الاخوان وكان يمر تلك اليوم مع سي محمد
بو الصوف القاطن بقبيلة وكان سي محمد بو الصوف يذهب اليه ولا غيره عند
بعض ... زواغة في سائر الايام والصحيح ان مولاي محمد بات تلك الليلة عند
سي محمد بو الصوف واشترى له بلغة من عند مطيع بن سليمان وحين طارت
تلك القضية كان واحد النصم من دار الحمرة نقل عند سي محمد الليلي المذكور
جميع الاثاث ووضعه في دار سي محمد المذكور وفي ايام رمضان كان واحد
الرجل يسمى محمد العيساوي خديم الكاهية المزبور اعلاه ذهب الى مولاي محمد
وطلب منه امانة فقال له مولاي محمد تعلم وان بناتك الزوج راني حكمهم في سنة
دوريه الثمه نساء يلغم لك وكان يوم الذي اتى القبيلة كنت انا جالس وحين قعدت
جالس قدام العلي متاع سي الحاج ذكرته ونصبت نفسي عليه حتى قال لي سي عمار
بن جولاق كانت فايد قبيلة هذا الرجل من زواغة مقدم الاخوان الذي يقصد
الزيارة وكانت جماعة جالسة معه هذا الذي شفت انا واما القول المذكور
اعلاه سمعت عليه ناس الذي لا يجيهم كذب قال الكهان كرت لك ...
واما عمار بن جانة خديم سي الحاج كان يركب بغلته و... معه
بن الزاهر في ... بني ... يطلبو ...
عمار المذكور ... ويقصد عن ... و ...

[illegible]

الحمد لله وحده   لا شريك له سبحانه وتعالى

اسعد اللــه احوال المبجل الفاضل المحترم السيد حم بن مصرلى على قايد ازواغه صانه اللــه ورعاه ،امين السلام عليك والرحمة والبركة وبعد السئال عنك سيدى نخبرك خير ان شاء اللــه ان مولاى مَحمد اتى الى ميلة يوم 11 مارس يوم الجمعة ثلاثة يوم من العيد وراكب على بغل احمر بالسريجة وحين وصل الى دشرة الكاهية بن شعبان خارج ميلة سبق اليه عمّار ولد الكاهية وواحد الرجل معه وصاروا يتكلمان مع بعضهم ولا نعرفوا ،اش يقولان وحين وصل الى ميلة لاقاه عمّار خديم سيدى الحاج حجوج وربط له البغل عنده ومولاى مَحمد جلس تحت العلي متاع سى الحاج المذكور مقابل الطاقة وقام تلك النهار بميلة وكثرت جلوسه فى الزاوية متاع بن صالة والزاوية متاع سى الحواس مقدم بن عبد الرحمان مع المقدم والاخوان وكان يحوس تلك اليوم مع سى محمد بوالصوف القاطن بميلة وكان سى محمد بوالصوف يذهب اليه ولي غيره عنها بعض ناس من زواغة فى سائر الايام والصحيح ان مولاى محمد بات تلك الليلة عند سى محمد بوالصوف واشترى لــه بغلة من عند سى مصطفى بن اسليمان وحين صارت تلك القضية كان واحد الشخص من دار الجمرة نقّل عند سى محمد المِلي المذكور جميع الاثاث ووضعهم فى دار سى محمد المذكور وفى ايام رمضان كان واحد الرجل يسمى محمد الهِشاوى خديم الكاهنة المزبور اعلاه ذهب الى مولاى محمد وطلب منه ابناته فقال له مولاى مَحمد تعلم وان بناتك للزوج راني حكمهم فى ستة دوريه الذى نسايلهم لك وكان يوم الذى اتى الى ميلة كنت انا جائز وحين شفته جالس قدام العلي متاع سى

الحاج نكرته وتميت نسقسى عليـه حتى قال لى سى عمار بن جولاق
كاتب فايد ميلة هذا الرجل من زواغة مقدم الاخوان اتى لقصد الزيارة
وكانت جماعة جالسة معه هذا الذى شفت انا اما القول المذكور اعلاه
سفسيت عليه ناس الذى لا فيهم كنب قالوا لى كما ذكرت لك داخل
الجواب واما عمار بن حمانة خديم سى الحاج كان يركب بغلته وترتا
يدى معه لعور بن الزادرى تارتا يدى معه بوغمدان ويطلبون البغال
للركوب تارتا يذهب عمار المذكور وحده ويقصد عرش اميه وزواغه
وابنى تليلان وهباشه واولاد ابراهم والعلمه متاع المسله ودار الواد
ومسيده ويقول لهم سيدى الحاج حجوج ارسلنى لكم وحين يسمعوا
تلك الكلام منه تتلم عليه الجمايع ويمرحبوا بـه ويضيفوه ويقدروه
وحين يحب يرجع يهدوا له الهدايات مثل الاكباش والخرفان والدهان
والقمح والدراهم وغيره من الاكل وكان وقت الصيف يمشى الى تلك
الاعراش المذكورين ويقول لهم سيدى الحاج بعثنى اليكم حين يخرج
منه نلك الكلام يلموا له العشور من الحبوت البعض من الزرع ياتى
به الى ميلة والبعض من البر يامرهم ببيعه له ويدفعوا له الدراهم قيمة
الزرع وكذلك فى وقت الشتاء يمشى اليهم ويحرثوا له يوم بجوابدهم
البعض من الناس يقصدهم لطلب التويزة والبعض ما يقصدهم اصلا
وهذا ما فى وسعنا خبرناك بـه والسلام مـن كاتب الحروف محبك
مصطفى بن سى حموده شيخ المدرسة بميلة فى 23 مارس سنة 1864 .

الحمد لله   وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

اسعد الله احوال ذو استاد الفاضل الاجل المبجل الجنرال
السيد على امانة الله ورعاه امين السلام
عليك والرحمة وبعد نبين بالذي نخبرك به وهو
خير ان شاء الله ونعلمك من بلغني جوابك عند
السيد [illegible] من سيدي ليتقدم اليه يوم الخميس
على الساعة عشرين من الزوال فقدمت اليه يوم الجمعة
وبت عنده ليلة الجمعة الثامن عشر من شهر مارس
في الليلة وفي صباح يوم الجمعة رجعت من عنده
الى زغاية من وجدت القبايل قد هجموا على البرج
وغزوا عليه وكسروا ابوابه وكسروا جميع ما فيه
واخذوا جميع الفرش الذي في داخله وهو فرار الديار
متاعي [illegible] فلما استخبرت عن ذلك من وجدت
القبايل كلهم متفقين ومعهم اناس من زواغة [illegible]
رجال [illegible] متاع الاخوان في جميع الجبال
وحرضهم عن ذلك واتفقوا كلهم على ذلك واسم
المقدم [illegible] مولاي محمد [illegible] انهم يريدون
ان يقدموا الى القبايل [illegible] ويغزوا عليه
ومن هناك يقدموا الى الميلية وهذا ناس كنا
[illegible]
تشاور مع السلطان [illegible] مسجون [illegible] الميلية
[illegible] والآن [illegible]
النصارى [illegible] الى زغاية ليتحاربوا ما كان وفي الليل
[illegible] الى ميلة [illegible] القبايل كلهم [illegible]

ملحق – 5 – أرشيف آكس ون بروفنس
2 H 27

الحمد لله وحده ،

وصلى الله على سيدنا محمد وسلم ٠

اسعد اللــه احوال ذات الفاضل الاجل المبجل ابينا السيد على صانه الله ورعاه امين والسلام عليك والرحمة وبعد سيدى فالذى نخبرك به هو خير ان شاء الله وبعد قد بلغنى جواب من عند السيد اليوطنة مرسى لنقدم اليه يوم الخميس على الساعتين بعد الزوال فقدمت اليه يوم الخميس وبت عنده ليلة الجمعة الثامن عشر من شهر مارس فى الميلية وفى صباح يــوم الجمعة رجعت مــن عنده الى زغاية فوجدت القبايل قد هجموا عــلى البرج وغزوا عليه وكسروا ابوابه وكسروا جميع ما فيه واخذوا جميع القش (كذا) الذى داخله وحرقوا الديار متاعى فقط فلما استخبرت عن ذلك فوجدت القبايل كلهم متفقين ومعهم ناس زواغة وكذلك رجل مقدم امتاع الاخوان ذهب لجميع الجبال وحرضهم عن ذلك واتفقوا كلهم عــلى ذلك واسم المقدم بن مولاى محمد وذكروا انهم يريدون أن يقدموا الى القايد بن امنيع ويغزوا عليــه ومن هناك يقدموا الى الميليــة وهانا مسكنا اثنى عشر شخصا منهم بوفاس الذى كان فى السابق تشاجر مع القبطان لوكه وها هم مسجونين فى ميلة وواحد منهم قطعنا له راسه واما انا فهانى فى النهار نقدم الى زغاية لنعاين ما كان وفى الليل نقدم الى ميلة لان القبائل كلهم نافقوا علينا حتى من ناس زواغة الفارين من البرج وهانى خبرت الحكام بذلك الى ان يخبرونى هل نقدم والا نبقى هنا الى ان يرجع الى الخبر من عندهم والسلام ممــن كتب عن اذنه ابنك السيد حم قائد زواغة حرر فى 18 مارس 1864 م ٠

وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الحمد لله

٢٣ [illegible] ١٢٢٢

أسعد الله أحوال الفاضل الأجل الأعز الأكمل
أحبنا السيد علي [illegible] أمير بعد السلام عليكم
ورحمة الله تعالى وبركاته نعم نبين لكم أنا نخبركم به
أن المسعود بن سليمان هو الذي جاز الجوابات على
[illegible] وتلك الجوابات أتوه من تونس من عند أولاد
[illegible] الكاينين هناك هكذا أخبرونا به البعض
من ناس زواغة الذين هم معه والدعوى هل ترى الجوابات
الذين هم دخلوا بيده اتصل بهم أخوه الحاج [illegible] أو الحاج [illegible]
بن [illegible] وكما نخبرك بأن ابن مولاي محمد [illegible]
بن [illegible] [illegible] فكان به [illegible] نفسه
بعد [illegible] أولاد [illegible] مسكن [illegible] يوم الثاني
والعشرين من شهر [illegible] وذهب به [illegible] عند
سعادة السيد [illegible] وهذا ما نخبرك به
والسلام [illegible] وابن زواغة
[illegible]

ب سلمان

[illegible] كتاب

Hammou ben [illegible]

وخديمك [illegible] البعض من ناس زواغة

ملحق ـ 6 ـ ارشيف آكس ون بروفنس
2 H 27

الحمد الله ،   وصلى الله على سيدنا محمد وسلم .

اسعد الله أحوال الفاضل الاجل الاعز الاكمل آبينا السيد على صانه الله آمين بعد السلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته ٠

نعم سيدى فالذى تخبرك به وان المسعود بن سليمان هو الذى فرق الجوابات على الاعراش وتلك الجوابات أتوه من تونس من عند أولاد بن عز الدين الكاينين هناك (كذا) هكذا اخبرونى به البعض من ناس زواغة الذين هم حضروا فى الدعوى هل ترى الجوابات الذين هم دخلوا بيده اتا بهم اخوه حاج حم (حمو) بن سليمان او حاج حم بن العطار ، كما نخبرك فان ابن مولاى محمد مسك بن حبيلص قائد بنى خطاب فى دشرة تسمى ـ نقية ـ بفرقة اولاد رابع عرش بنى خطاب مسكه عشية الثلاثة يوم الثانى والعشرون من شهر التاريخ (مارس) وذهب به للميلية عند سعادة السيد اليوطنة مرسى وهذا ما نخبرك به والسلام من ابنك قائد زواغة وفقه الله آمين وقد مسك معه البعض من ناس زواغة ٠

SUBDIVISION DE CONSTANTINE

Cercle de Constantine

KHALIFAT DE FERDJIOUA

عمالة قسنطينة

خليفة فرجيوة

الحمد لله وحده

[illegible]

[illegible]

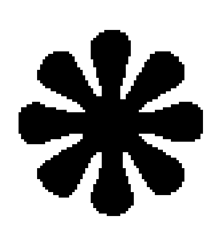
ملحق ـ 7 ـ ارشيف اكس ون بروفنس

2 H 27

23 مارس 1884 م   الحمد لله وحده ،

اسعد الله أوقات الفاضل الاجل الفارس الارفع سعادة السيد الكماندة بالمه السلام عليك الفا يعمك ويعم كافة من بحضرتك العلية سؤالنا عن كيفية احوالك على الابد والدوام فان كنت بخير فله الحمد نعم سيدى اتانا جوابك الارفع فقراته وفهمت مضمونه وكلفتنى بالبحث والوقوف على ما يحدث من الاخبار فى اذون الناس وكان ادركنى الجواب وانا ركبت واتيت الى عزلة حموية برسم اراس بقصد ما نسمع من الناس فوجدت خدامنا اهل فرجيوة يتمسخرون ويضحكون عليهم ويقولوا القبايل اهلكهم الله وضيعوا اولادهم وجميع اعراشنا حامدين شاكرين ولا يخطر ببالهم شيئا فى هاته الوقت وغيره وكل شيخ لزمته بالوقوف التام على ما يسمعه يخبرنى بـه وانا اخبركم به فورا نعم سيدى حيث لزمتنى وكلفتنى بالبحث فبعثت وحد من خدامنا من عزلة حمويه يقال له رابح بن عليوة وعمر بن بوسنة الاول انسابه براس والثانى له احباب ايضا بتلك الناحية بقصد البحث عـــن الاخبار فوصلا ورجعا الى قال خبرونى البعض من اراس قالوا أتانا محمد بن مولاى وحوس الاعراش منهم البعض من اراس من الذراع لناحية الظهرة والبعض من اولاد عسكر والبعض من بنى عيشه والبعض من بنى فتـــح والبعض مـــن بنى احبيب والبعض مـــن بنى خطاب وقال لهم هاه بورنان بن عز دين نازل عندى ويقول لكم تمشون معى لبرج القايد بازغاية فلما سمعوا منه هاته المقالة مشوا معه جميع ما ذكر وهذا هو اصل القضية على حسب ما خبرنا به رابح المزبور ومن معه وقالوا سمعنا باولاد حايه لـــم يحضرون مع الناس المزبورين وكما أننى تلاقيت مع بعض الرجال من بنى عافر اتــوا من الجبل فسألتهم قالوا نحـن فى هنـاء وعافية ســوى قايد بنى اسيار اتاهم بنفسه ومعه جميع وضمية بنى اسيار ليعسون على برج

الشحنة فلما سمعوا بني عافـر جزعوا وقالوا كيف يأتـوا بنى اسيـار وقايدهم ليعسون عل البرج نحن لا نرضوا بهاته الامـر البرج فى وجهنا وكل ما يضيع منه نحن ضامنين فيه وان لم ينصتوا لكلامنا نحن نرتحل ونسكن بجيجل وهذا ما سمعناه مـن بنى عافـر وكـل ما سمعته ترانى خبرتك به ونسبته لاهله وماءنى واقف الوقوف التام بالكد والاجتهاد من غير مزية مني وان اتاني خبر غير هذا نخبرك به فورا وفيه كفاية والسلام من المكتوب عن اذنه السيد احمد خوجة بن عاشور خليفة الشيخ بوعكاز بفرجيوة .



SUBDIVISION DE CONSTANTINE

Cercle de Constantine

KALIFAT DE FERDJIOUA

عمالة قسنطينة

خليفة فرجيوة

سنة ١٨٤٢

١٤ في شهر ابريل

الحمد لله وحده

جناب ذات العلم الاربع بسعادة ادبير الكلانل

مصطفى بالمه السؤال الكثير عنك وعن احوالك المرضية فلما كنت نجيني بالحرمة

وبعد ينوا انا منزا عنك نعم البير وانا اسمعا دا العلم الابع ادبير الجنرال باه نرحل

حاج المكي ولد الشيخ بوعكاز واهله من البرج الى قسنطينة فانني رحلتني يوم

الخميس الرابع عشر من [illegible] ورفع اهله ونقلهم على جملة وتسليمه

زوابيه وصى الشيخ محمد بن الكبير ان تحل من البرج مع حاج المكي وبعض البعض

من قشل الشيخ بوعكاز بالبرج فرمانا بعد ستون زوابيه ولا بعوا زوابيه

ومع القشل الباقي من الوجهاء ثلاثة حاج بلخير وفارنم ومسعود بالبرج

واما احمد بن الدراجي خليفة بابور مانيه فلنس لم امسك زوجتك عنوك

ببيتك فلم يتشل تكلاميه وخلفه ذهبت مع اخيها حاج المكي

لقسنطينة وهي بنت الشيخ بوعكاز وانا اخبرتك بما مشي من برج

الشيخ بوعكاز ولما بغي فيه وحين يصدر القشل البلة فيخبرك

ونحن نكملوا فيه وانا نبيده واحب امرسر بيسيم الدولة السعيدة

ولم يكلبني ذ سوه ولا تراخي ولا غفلة ابدا وجميع ما كان نخبرك به

على الدوام وعليك السلام سؤال من كتب باذن سي الحرفوجه [illegible]

خليفة فرجيوة

ملحق ـ 8 ـ أرشيف آكس ون بروفنس

2 H 27

14 في شهر افريل 1864 م   الحمد لله وحده ،

حفظ اللـه ذات المعظم الارفع سعادة السيد الكماندة مصطفى بالسـه السؤال الكثير عنك وعن أحوالك المرضية فان كنت بخير فالحمد لله وبعد سؤالنا هذا عنك نعم السيد واننا سعاد المعظم الافع (كذا) السيد الجنيرال بان نرحل حاج المكي ولد الشيخ بوعكاز واهله مـن البرج الى قسنطينة فانني رحلته يوم الخميس الرابع عشر من التاريخ ورفع أهله وقشه عـلى خمسة وتسعين زايله وصهر الشيخ محمد بن باكير ارتحل من البرج مع حاج المكي وبقي البعض من قش الشيخ بوعكاز بالبرج قدر ما ترفعه ستون زايلة والا سبعون زايلة ومع القش الباقي من الوصفان ثلاثة حاج بلخير وقار محمد ومسعود في البرج وأما احمد بن الدراجي خليفة بابور فانني قلت له امسك زوجتك عندك ببيتك فلم يمتثل لكلامي وطلقها ذهبت مع اخيها حاج المكي لقسنطينة وهي بنت الشيخ بوعكاز وانا اخبرتك بما مشى من برج الشيخ بوعكاز وبما بقي فيه وحين يصدر القش الباقي فنخبرك ونحن نكملوا فيه وانا سيدي واقف في امر سربيس الدولة السعيدة ولم يكن لي ذحول ولا تراخي ولا غفلة ابدا وجميع ما كان نخبرك به على الفور وعليك الـف سؤال مـن كتب باذنه سي احمد خوجة بـن عاشور خليفة بفرجيوة .

… DE CONSTANTINE

KALIFA DU FERDJIOUA

عمالة قسنطينة

خليفة فرجيوة

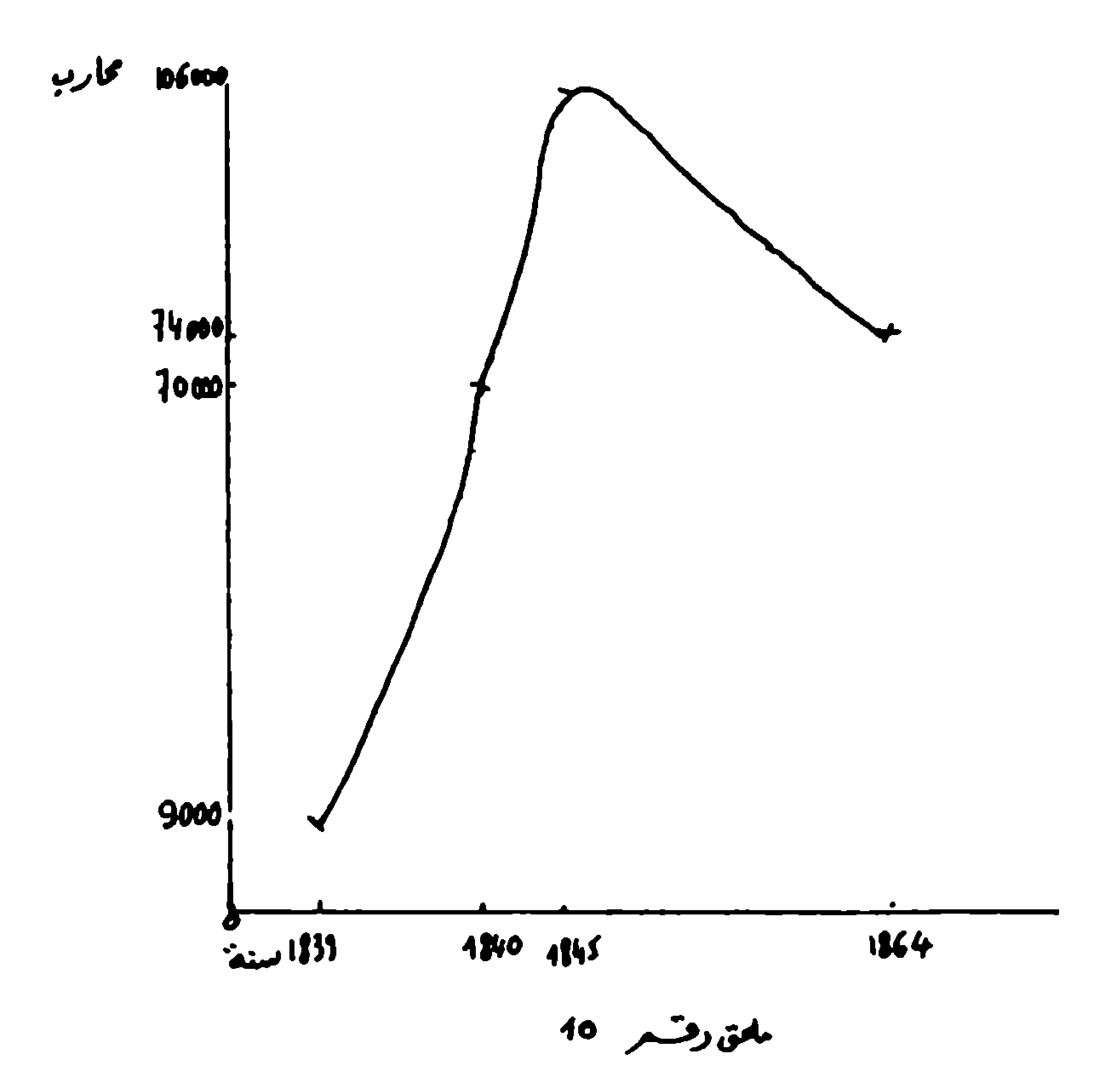
في شهر … سنة 189…

الحمد لله وحده

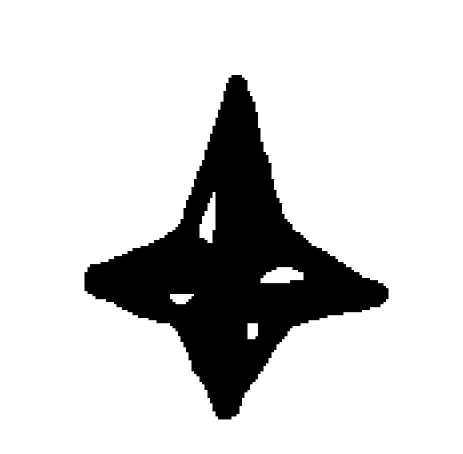
إلى … عز الله حفظ المعظم الأرفع الهمام الأنفع
سعادة السيد الحاكم مصطفى … أمنه الله عليك السلام
الأتم الشامل الأعم وبعد سيدي نخبرك على حال صبايحي ما بسرقة
أولاد مسعود عرش أولاد عامر اسمه بلقاسم جاب بن محمد بن
الشاوية سببه كان في هاته الأيام الفارطة يدور على بعض الناس
من أناس جماعته ويقول لهم الصبايحية كلهم ثاروا وجعلوا الغرض
في أنفسهم سيوا أنتم غفلتكم عن أنفسكم ولم تجعلوا رأيكم فإن
استحققتم كلامي لابد تسوقوا يوم الأربعاء بالسلاح وتنفقوا
من الناس في موضع قرب السوق وتدخلوا السوق بلا … النفرة
حين تكون النفرة في السوق يكون سلاحنا قريب إلينا فلا
بو يحيى الكاتب نفع الفتنة بها عرش … جبور بلعامر بن سنة
… الطلاي أخبروا به شيخ العرفة وهو الحاج بلقاسم بن
الكبير وأخبرني هو بذلك فقلنا له لابد أن تأتيني بالناس الذين
سمعوا منه فأتاني بالطيب بن عبد الله والسعيد بن بوعمر
والعيادي بن العيادي كلاهما من عرش أولاد عامر وسمعنا منهم
ذلك فمن أخبرتك به والنظر إليك والسلام من المكتوب
عن إذنه السيد أحمد خوجة بن عاشور خليفة
فرجيوة وهو الله …

الحمد لله وحده

اسعد اللـه حضرة المعظم الارفع الهمام الانفع سعادة السيد الكمانده مصطفى باالمه امنه الله عليك الاتم الشامل الاعم وبعد سيدى نخبرك عل رجل مفسد من فرقـة أولاد سى مسعود عرش أولاد عامر اسمـه بلقاسم بن سى محمد بن الشويه سببه كان فى هاته الايام الفارطة يدور عل بعض الناس من اناس جماعته ويقول لهم الجبايلية كلهم ثاروا وجعلوا القـدر لانفسهم سوى انتم غفلت عن إنفسكم ولم تجعلوا راى فان استمعتم لكلامى لابد نسوقوا يـوم الاربعاء بالسلاح ونخفوه عـن الناس فى موضع قرب السوق وندخلوا للسوق باذن النفرة بحين تثور النفرة فى السوق ويكون سلاحنا قريبا الينا فلابد بعد ذلك تقع الفتنة فى اعراش فرجيوة فلما صدر منه هذا الكلام اخبروا به شيخ الفرقة وهو الحاج بلقاسم بن الشيروف واخبرنى هو بذلك فقلت لـه لابد تاتينى بالناس الذى سمعوا منه فاتانى بالطيب بن عبد الله والسعد بن سى عمر والفيلالى بن الفلالى كلاهم من عرش اولاد عامر وسمعت منهم ذالك فنحن اخبرتك به والنظر اليك والسلام من المكتوب عن اذنه السيد أحمد خوجه بن عاشور خليفة فرجيوة وفق اللـه الجميـع ٠



ملحق رقم ١٥

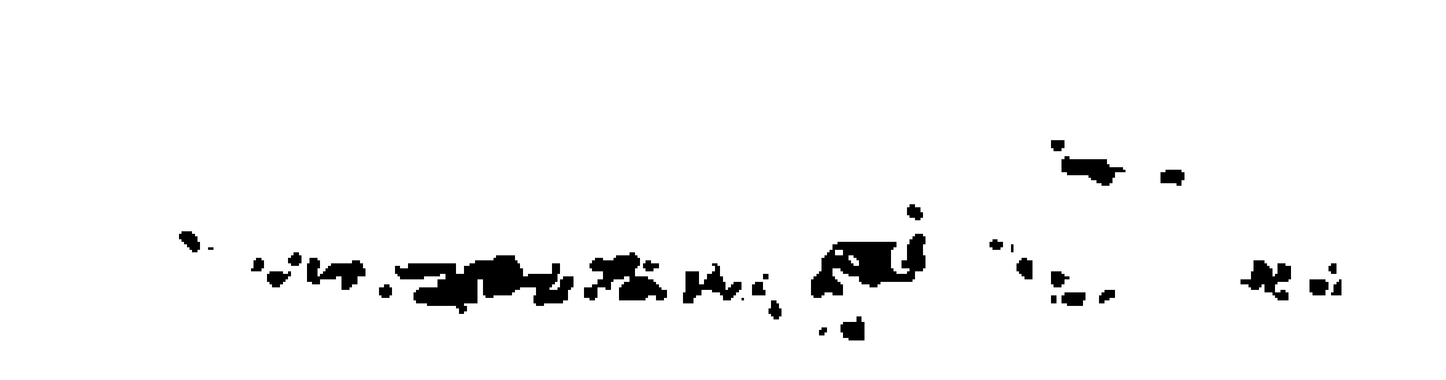


بني فوغال
بني عمران
بني عافر
بني خطاب
زواغة
بني ولبان
مويه
بابور
فرجيوة
زغاية

مخطط تقريبي لبعض قبائل الشرق الجزائري
من رسالة "دبلوم الدراسات المعمقة" بجاجة عبد الكريم
(نقلا عن: Senatus-Consulte du 22 avril 1863)

ملحق رقم 11.

الفهارس



فهـــرس الأعـــلام

ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ج ـ

- ح -

- خ -

- د -

- ر -

– ز –

– س –

– ش –

– ص –

– ط –

ـ ع ـ

ـ غ ـ

ـ ف ـ

ـ ق ـ

ـ ك ـ

ـ ل ـ

— م —

— ن —

— هـ —

— ى —

فهرس باسماء الأماكن والبلدان

ـ ا ـ

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ج ـ

ـ ح ـ

ـ ف ـ

ـ ق ـ

ـ ك ـ

ـ ل ـ

ـ م ـ

ـ و ـ

فهــــرس المحتـويـــات

هــذا الكتــاب

هبت التشكيلات الاجتماعية الجزائرية منذ ان وطأت أقـدام الفرنسيين أرض الوطن ، والتحمت فيما بينها سواء فى الغرب أو فى الوسط أو فى الشرق للوقوف أمام خطر هددها من الخارج ، وتمثل هذا الالتحام بالغرب فى مبايعة عبد القادر أميرا عليها ، وبالوسط فى الالتفاف بالشيخ بن زعمون وابن المبارك وانصارهما ، وبالشرق فى وقوف معظم السكان شيوخا ومرابطين وعامة ، صفا واحدا بقيادة الحاج أحمد باى ، وبالشيوخ فيما بعد . الامر الذى يجعلنا نعتبر هذه المبايعة والالتفاف والوقوف صفـا واحدا البداية الصحيحة للمقاومة الوطنية ، بـل للحركة الوطنية الجزائرية فى صورتها الواسعة .